أثر الاعتقاد في الجانب النفسي

The effect of belief in the psychological aspect

أ.م.د حسن ابراهيم عبد

DR-Hasan Ibrahim abid

جامعة الفلوجة/كلية العلوم الإسلامية

dr.hassan.aljumaily@uofallujah.edu.iq

ملخّص البحث

لا شكّ أن للجانب النفسي والاعتقاد تأثير كل منهما في الآخر، فالجانب العقدي والروحي والإيماني لأي فرد لا يقل أهمية عن الجانب البدني الجسماني، ولا شك أن الجانب العقدي لأي شخصية لها الأثر الحاسم في إرشاد وتوجيه الكثير من نشاطات الأشخاص وممارساتهم وتحديد سلوكهم داخلياً وخارجياً، إيجاباً أو سلباً، كذلك نجد أنّ الصلة وثيقة بين العقائد المتطرفة عقدياً وفكرياً وبين الاستعدادات والميول النفسية وتعرض الشخص المتطرف لوضع حياتي واجتماعي صعب مما ترك أثراً في نفسه وتولدت لديه مشاكل واضطرابات نفسية أسهمت في نشوء تلك العقائد المتشددة، وبالتالي فالقلّب للعقائد بين التشدد والاعتدال إنما يتأتى من أشخاص بمواصفات معينة وأرضية خصبة تتقبل نفسياً نوع العقيدة التي تؤمن بها، فمنهم من سلك سبيل المحبة والإيثار والرحمة والعطف للناس وبالنتيجة يطمئن ويسكن الى العقيدة الوسطية المعتدلة، ومنهم من انزلق في مدارك التشدد والعنف والبطش بمن يخالفه فنراه يركن ويجنح صوب العقائد المتطرفة والمتشددة، فكلٌّ حسب دوافعه ورغباته وميوله النفسية، كما إن للاعتقاد الأثر الحاسم في الصحة النفسية للشخص من عدمها، فالعقيدة الوسطية المعتدلة تسهم في الصحة والسماحة النفسية للشخص، على العكس من العقائد المتطرّفة فهي تورث صاحبها القلق والاضطراب والتشنّج، مما يضطره إلى إقصاء الآخرين والتنكيل بهم.

الكلمات الافتتاحية: اعتقاد، أثر، نفس

Abstract

There is no doubt that the psychological aspect and belief have an effect on each other. The doctrinal, spiritual and faith aspect of any individual is no less important than the physical aspect. There is no doubt that the doctrinal aspect of any personality has a decisive impact in guiding and directing many of the activities and practices of people and determining their behavior internally and externally, positively. Or negatively, we also find that the link is close between extremist beliefs doctrinally and intellectually and between psychological preparations and tendencies and the exposure of the extremist person to a difficult life and social situation, which left an impact on himself and generated psychological problems and disorders that contributed to the emergence of these extremist beliefs, and therefore the reversal of beliefs between extremism and moderation comes from People with certain characteristics and a fertile ground that psychologically accepts the kind of belief in which they believe. Some of them follow the path of love, altruism, mercy and kindness to people, and as a result they are reassured and calmed down to the moderate moderate belief, and among them are those who slipped into the realms of extremism, violence and oppression against those who oppose them, so we see them leaning towards extremist and extremist beliefs. His motives, desires, and psychological inclinations, just as belief has a decisive impact on a person's mental health or not. The moderate moderate belief contributes to a person's psychological health and tolerance, in contrast to extremist beliefs, which inherit anxiety, turmoil, and tension, which forces him to exclude others and abuse them.

Keywords: Belief, effect, soul

المقدمـة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم، على حبيبنا وشفيعنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغرّ الميامين، ومن اهتدى بهديه واستنّ بسنّته إلى يوم الدين وبعد:

فإن النفس الإنسانية تعدّ من المخلوقات الغامضة والمعقّدة، فهي مبهمة وملتبسة عند التصدّي لتناولها بالبحث والدراسة من المتخصصين والباحثين، والجانب النفسي له علم مستقل بحاله اجتهد العلماء بالفحص والتدقيق للوقوف على تحديد ماهية النفس، والإحاطة والإدراك لمكامنها والحرص على فهم الدوافع للسلوك البشري، ومحاولة التكهّن بخفاياه وأسراره، وقد تناول المختصّون من العلماء طرق تزكية النفس والأساليب المجدية لتحقق السلامة النفسية، واهتم القرآن الكريم بتزكية النفس واعتبرها خلاصة الدين، فقال تعالى ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾[١].

إن مفردة النفس ذكرها القرآن الكريم مع مشتقاتها في مواضع تقرب من (٣٠٠) مرة، منها يعني جنس الانسان عموماً أو ذاته، فكل نفوس الخلائق خلقت من نفس واحدة، قال تعالى [هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدةٍ][٢]، وحثّنا الحقّ عز وجلّ على التدبّر والتفكّر في ماهية النفس فقال جلّ شأنه [وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ][٣].

أهمية الموضوع: ما يهمنا في هذا البحث هو الوقوف على الترابط الوثيق والصلة الوطيدة بين الاعتقاد والجانب النفسي، فالجانب النفسي له الأثر الحاسم في تكوين العقائد وتحديد التوجّهات العقدية إيجاباً أو سلباً، أو العكس من حيث أهمية الاعتقاد والإيمان، ودورهما الكبير في تعيين وتوصيف طبيعة النفس وتوجهاتها إما في الخير أو الشرّ، فالاعتقاد حين يعتريه الخلل والفساد والجنوح عن مراد الله تعالى، سيؤدّي دوراً

(١) (الشمس/٧-١٠).
(٢) (الأعراف/١٨٩).
(٣) (الذاريات/٢١).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

حاسماً في فساد السلوك واعوجاجه، كذلك الصحة النفسية لو اعتلّت سيكون لها أثرٌ في تكوين العقائد وتوجيهها في غير مراد الله سبحانه، كذا الحال في الصحة النفسية والاعتقاد الصحيح، بالتأكيد لهما أثر إيجابي في شخصية الانسان .. وبالتالي الجنبات النفسية ومكامنها الخفية والدقيقة، لها الأثر الحاسم في التوجيه العقدي، وتحديد نوع السلوك على مستوى الأفراد والجماعات، كما أن للاعتقاد أثره المؤكَّد على الفرد والجماعة.

أسباب اختياره: إنّ التوجهات العقدية والأسس الإيمانية على تماس وثيق بالجانب النفسي صحيحاً كان أو معتلاً، وهي قريبة جداً ومتشابكة مع الميول النفسية وتؤثر فيها أيّما تأثير، ولا ريب أن العقيدة الصحيحة كما أرادها الله تعالى تعدّ من أعظم الأسباب التي تشترك في بناء الشخصية وتهذيب النفس وتكوين ذاتها وهويتها الدينية الوسطية، وتوجهاتها الفكرية المستقيمة، لذلك سيدور البحث حول حلقة الوصل بين الاعتقاد والنفس البشرية، وتأثير أحدهما في الآخر، ومن هنا تتبين الأسباب في اختيار الموضوع ؛ لفهم مدى الصلة الدقيقة بين الظواهر النفسية والتوجهات العقدية، وتتجلّى الأهمية الماسّة والضرورية لتصويب الدراسات العلمية والبحوث التطبيقية نحو الدراسات في جانبها الديني والروحي وأثرها على سلوكيات الناس، عن طريق منبعها ومصدرها العذب الزلال من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فالمتفحّص للنصوص الشرعية الثابتة يظفر بمضامين كثيرة جداً تعرضت لأهمية الاعتقاد في نفس صاحبه، وتناولت الميول النفسية واستعدادها للخير والشرّ، بحسب درجة التمكّن من النفس ومستوى تزكيتها، وأبانت عن صفاتها وهيئاتها ومزاياها، وأفصحت عن معايبها ومساوئها، وأساليب تزكيتها وتنقيتها على وفق المقاصد الشرعية.

خطة البحث: سأتناول الموضوع بالدراسة وفق خطة مقسّمة إلى عدة مطالب وكما يأتي:

المطلب الأول: بيان ماهية العقيدة والنفس.

المطلب الثاني: الصلة بين التوجه العقدي والاستعداد النفسي.

المطلب الثالث: اهتمام الإسلام بالنفس وماهيتها.

المطلب الرابع: نشأة عقيدة التطرّف وعلاقتها بالطبيعة النفسية.

المطلب الخامس: الترابط بين العقيدة الوسطية والميول النفسية.

المطلب السادس: أثر الإيمان والعقيدة بالجانب النفسي.

وأخيراً: الخاتمة: وسأوجز فيها خلاصة البحث وأهم نتائجه.

نسأل المولى جلّ في علاه التيسير والنجاح والسداد، فمنه تعالى نستمدّ التوفيق والبركات.

المطلب الأول: بيان ماهية العقيدة والنفس

أولاً: العقيدة لغة واصطلاحاً: لمفردة العقيدة مفاهيم متعددة في اللغة والاصطلاح، يمكن إجمالها في الآتي:

١- العقيدة في اللغة: مفردة اشتقت من أصل الفعل الماضي (عقد)، وقد يكون مفهومها حسياً كعقدة الحبل وربط الحبال عموماً، أو قد تكون دلالتها معنوية كعقد الزواج والبيوع وغيرها، واعتقد القلب أدان بالشيء وربط عليه ... ومن معانيها اللغوية تأتي بمعنى الربط، والشدّ، والتوثيق، والعهد ...، وطلبُ الشخص أن يتمكن اعتقاده من القلب ويحكمه ؛ لذلك ورد مصطلح العقيدة ؛ لأنه يربط على القلب ويحكمه، فإذن معانيها تدور حول التوثّق والإحكام والتماسك والجزم واليقين، والعقيدة تناقض الحلّ، ومنها عَقْد الأيمان والبيوع والنكاح[1]، قال تعالى:

(١) ينظر: التعريفات، للجرجاني: (ص١٩٦)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي: (ص٩٩).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

﴿لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ﴾[1].

٢- العقيدة في الاصطلاح والقرآن: للعقيدة تعريفات اصطلاحية متعددة منها ما عرفها عضد الدين الإيجي بأنه «علمٌ يقتدر معه إثبات العقائد الدينية بإيراد الحجج ودفع الشبه»[2]، وعرفها الفارابي بأنه «ملكة يقتدر بها الإنسان على نصرة الآراء والأفعال المحمودة التي صرح بها واضع الملة، وتزييف كل ما خالفها بالأقاويل»[3]، وعرّفها أبن خلدون بأنه «علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة، وسر هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد»[4]، كما عرّفها الشريف الجرجاني حين قال بأنها «علم يبحث فيه عن ذات الله وصفاته وأحوال الممكنات من المبدأ والمعاد على قانون الإسلام»[5]، حيث جعل التعريف مقيداً بقانون الاسلام لعدم الخلط مع علوم الفلسفة في التعريف، وقد أُدخل قيد قانون الإسلام لإخراج الفلسفة الإلهية من التعريف.

وعرّفها الكمال بن الهمام في المسايرة بقوله «هي معرفة النفس ما عليها من العقائد المنسوبة لدين الإسلام عن الأدلة علمًا وظنًا في البعض منها»[6]... .

وهناك الكثير من التعريفات الاصطلاحية لكنها بمجملها لا تخرج عن المعاني التي ذكرناها وهي وافية في إيراد ا لمعنى .

٣- العقيدة في القرآن الكريم: اشتملت نصوص القرآن على الكثير من أسس العقيدة في أقسامها من الالهيات والنبوات والغيبيات، ودلّل عليها بجملة من الشواهد والحجج، فقد بين جل في علاه

(١) (المائدة/٨٩).
(٢) شرح المواقف، للجرجاني: (١/٣٤ وما بعدها).
(٣) احصاء العلوم، للفارابي: (ص١٣١).
(٤) تاريخ ابن خلدون: (١/٤٥٨).
(٥) التعريفات، للجرجاني: (ص ٢٣٧).
(٦) المسايرة في العقائد المنجية في الآخرة، للكمال ابن الهمام: (ص: ١٠).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

أنه تعالى هو ربّ العالم حين قال [الحمد لله رب العالمين][١]، كما أدلّنا على وجوده بإسناد الخلق إليه وحده فقال [هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ][٢]، وأثبت الوحدانية له سبحانه لا شريك له فقال [لو كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا - فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ][٣]، وأوجب لذاته كل سمات وصفات الكمال، واستوجب على المسلمين اليقين الجازم والإيمان باليوم الآخر فقال [قل بلى وربي لتبعثن][٤]، وبيّن الأدلة على ثبوت وجوده وإسناد الخلق والإيجاد له تعالى فقال[قال من يحيي العظام وهي رميم، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم][٥]، وشنّع بمن أنكر أصل النبوات فقال سبحانه[إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً، أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِينا][٦]، كما ألجم المنكرين للبعث والنشور بقوله سبحانه[إِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ - وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ - هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ][٧] ... وغيرها من الآيات الكثيرة التي تناولت أصول العقيدة بأسلوب يسير وبسيط يناسب مستويات الفهم المتنوعة من السطحي الساذج إلى المتعمّق والمتضلّع بمختلف المعارف والعلوم، كونه كتاب معجز يلائم جميع الأذواق ومستويات الفهوم المختلفة، فهو يخاطب بذات الوقت المبتدئ والمتوسط والعالي وكلٌ منهم ينهل منه ما يلائمه بحسب فهمه، فأدلّة القرآن الكريم وطريقة عرضه كالغذاء والماء الذي ينتفع من الجميع من الجنين إلى العاجز، والمريض

(١) (الفاتحة/١).
(٢) (لقمان/١١).
(٣) (الأنبياء/٢٢).
(٤) (التغابن/٧).
(٥) (يس/٧٩).
(٦) (النساء/١٥٠-١٥١).
(٧) (الرعد/٥).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

والصحيح على حدٍّ سواء ... كيف لا وهو كلام رب العالمين.

ثانياً: النفس في اللغة والاصطلاح:

١- النفس في اللغة: ذكر ابن فارس أن (النون والفاء والسين) من أصل واحد، وسميت النفس ، وأحياناً يراد بها (الروح)، فحين نقول أُزهقت نفس امرءٍ أي خرجت روحه، وتأتي بمعنى الدم، يقال سالت نفسه أي دمه[١]، وتطلق النفس على الدم لأن خروجه ملازم لخروج النفس[٢]، ومن معاني النفس (الجسد)[٣]، وتأتي بمعنى (الإنسان) فتُطلق على الإنسان بكلّه، كالقول عندي أنفُس أربعة[٤] ؛ أي أربعة أشخاص، وتدلّ كذلك على (ماهية الشيء وحقيقته)[٥]، تقول التقيت بنفس الشخص، واشتريت الحاجة نفسها[٦]، كما يعبرّ عنها بمعاني الأنفة والهمّة والعظمة والعزّة، والأخ[٧] كما في قوله تعالى(... فسلّموا على أنفسكم)[٨]. وللنفس معانٍ لغوية كثيرة لا يسع المجال لسردها.

٢- النفس في الاصطلاح: وردت النفس في النصوص الشرعية بمعانٍ متعددة، منها أنها تدلّ مجموع الإنسان روحاً وجسداً[٩]، وقد تدلل على النوع والجنس معاً، وعلى النوع فقط والأخ[١٠]، وتدلّ أحياناً على آدم عليه السلام باعتباره أساس البشر[١١]، وقد

(١) ينظر: الصحاح للجوهري: (٣/٩٨٤) مادة نفس.
(٢) ينظر: لسان العرب، لابن منظور: (٦/٢٣٤) مادة نفس.
(٣) ينظر: الصحاح، للجوهري: (٣/٩٨٤)، ولسان العرب، لابن منظور: (٦/٢٣٥) مادة نفس، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي: (ص٧٤٥) مادة نفس.
(٤) ينظر: الصحاح، للجوهري: (٣/٩٨٤)، ولسان العرب، لابن منظور: (٦/٢٣٤) مادة نفس.
(٥) ينظر: المصدران نفسهما.
(٦) ينظر: المصدران السابقان.
(٧) ينظر: الصحاح، للجوهري: (٣/٩٨٤)، ولسان العرب، لابن منظور: (٦/٢٣٤) مادة نفس.
(٨) (النور/٦١).
(٩) ينظر: الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل البلخي: (٢/٢٦٨).
(١٠) ينظر: المصدر نفسه.
(١١) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، لعبد الرحمن ابن الجوزي:

تطلق على القوة الداخلية للشخص وعلى الروح[١]، ومن مفاهيمها أنها تُطلق على ذات الله تعالى نفسه، كما قال تعالى [ويحذركم الله نفسه][٢]، وقوله [واصطنعتك لنفسي][٣].

والكثير من علماء العقائد والمتكلمين يرون أن النفس هي هيكل محسوس[٤]، ويرى الجمهور منهم أنها جسم يتباين بحقيقته وماهيته عن المحسوس من الأجسام[٥]، وهي «جوهر مجرد في ذاته متعلق بالبدن تعلّق التدبير والتصرّف»[٦]، ويرى بعض المتكلمين أن النفس هي غير الروح، فالروح عرض وهو الحياة فقط[٧]، ويميل الآمدي[٨] إلى انها جسم لطيف يشتبك مع الجسم الكثيف جرت العادة بوجود الحياة معها[٩]، أما الجويني فيرى أنها أجسام تتشابك مع الأجسام المحسوسة تستمر الحياة باشتباك الجسمين اللطيف والكثيف، فإذا تفارقتا وقع الموت[١٠]، وتناول الغزالي مفردة النفس بألفاظ ودلالات متعددة: النفس والعقل والروح والقلب فكان في تناوله لها أكثر

(١٩٢/٢).

(١) ينظر: النفس الانسانية في القرآن، لإبراهيم سرسيق: (ص٣٠).

(٢) (آل عمران/٢٨).

(٣) (طه/٤١).

(٤) ينظر: شرح المقاصد، للتفتازاني: (٣٠٢/٣).

(٥) ينظر: المصدر نفسه.

(٦) المصدر السابق: (٣٠٥/٣).

(٧) ينظر: الروح، لابن القيم: (ص٤٧٢)، والفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم: (٢٥٤/٣).

(٨) علي بن أبي علي بن محمد الآمدي – آمد من ديار بكر – ولد سنة (٥٥١هـ)، مشتهر في علم الكلام والمنطق والأصول، من آثاره العلمية (الإحكام في أصول الأحكام)، و (ابكار الأفكار) ... توفي سنة (٦٣١هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي: (٣٦٤/٢٢)، والأعلام، للزركلي: (٣٣٢/٤).

(٩) ينظر: الرازي وآراؤه الكلامية، لمحمد الزركان: (ص٤٦٧).

(١٠) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني: (ص٣٧٧)، وتحفة المريد إلى جوهرة التوحيد، للبيجوري: (ص١٠٢-١٠٣).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

إحاطةً واستيعاباً للإنسان واكثر استخداماً من مختلف المفردات الأخرى[1]، ولمفردة النفس عدة دلالات اصطلاحية نكتفي بما ذكرناه.

المطلب الثاني: الصلة بين التوجه العقدي والاستعداد النفسي

إن العقيدة هي فطرة بشرية جُبل الناس عليها، فالإيمان بالعقيدة هي طبيعة بشرية لا يخلو منها أي فرد إلاّ ما ندر، فكل واحد لديه الاستعداد النفسي لتبنّي عقيدةٍ ما، لكن طبيعة تلك العقيدة وتوجهها وسماتها تتجلّى بحسب العوامل البيئية والصفات النفسية، فالبيئة التي تحيط بتكوين شخصية الفرد لها دور كبير في تحديد السمات الشخصية، والصفات العقدية تُحَدَّدُ بجملة عوامل في مستهلّها الميول والاستعدادات النفسية لتقبّل مستوى واتجاه ونوعية العقيدة، وهنا سأتناول الصلة المهمة والرابطة الوثيقة بين الجوانب النفسية والتوجّهات العقدية، فالترابط بين العقيدة والدوافع النفسية متأصل ومضطرد منذ القدم.

هذا المبحث سيتضمّن مطالب عديدة تدقق في تلك الصلة بين الجانبين النفسي والعقدي، وتأثير أحدهما في الآخر.

المطلب الثالث: اهتمام الإسلام بالنفس وماهيتها

اهتم ديننا الحنيف وشريعتنا الغراء بأهمية النفس ودوافعها وصفاتها المتعددة، وأساليب تزكية النفس البشرية والرقيّ بها الى مصافي الملائكة، فالمتفحص لتوجيهات النصوص والشرعية ودلالاتها يتلمس اهتمامها بالجانب النفسي ودوره الكبير في تحديد توجهات الشخص المختلفة، كيف لا وهي من أعقد مخلوقات الله تعالى فهي صنعته الفريدة، حيث امتدحها بقوله [ونفسٍ وما سواها][2]، ثم قصدها بخطابه فقال تعالى[يَـٰأَيَّتُهَا النَّفسُ المُطمَئِنَّةُ ارجِعِى

(١) ينظر: الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي، لعبد الكريم عثمان: (ص58-53).

(٢) (الشمس/7).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَة- مَّرضِيَّة-][١]، إذْ تم توجيه الكلام إلى النفس البشرية بصورة مباشرة، مما يعني اتصافها وقابليتها لميزة الاستماع وتلقّي الخطاب، وفي وصفها (راضية مرضية) نفهم منه مكامنها العاطفية وقابلياتها المتنوعة من الرضى والسخط وغيره، وقد ورد في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه « لميِّتُ تحضرُهُ الملائِكَةُ، فإذا كانَ الرَّجلُ صالحًا، قالوا: اخرجي أيَّتُها النَّفسُ الطَّيِّبةُ، كانت في الجسدِ الطَّيِّبِ، اخرجي حميدةً، وأبشري برَوحٍ ورَيحانٍ، وربٍّ غيرِ غضبانَ، فلا يزالُ يقالُ لَها ذلِكَ حتَّى تخرُجَ، ثمَّ يُعرَجُ بِها إلى السَّماءِ ... «[٢]، وهو دليل صريح على أهميتها الحاسمة في التوجّهات الشخصية بما فيها العقدية والفكرية وسائر الجوانب الأخرى.

أولاً: صفاتها وميزاتها: وعند التدقيق في نصوص القرآن تتضح صفاتها وميزاتها المتعددة، ومن أهمها أن لها دوافع وميول وحاجات ومشاعر كما قال تعالى [إلاّ حاجةً في نفس يعقوب قضاها][٣]، ومنها أنها مناط التكليف الشرعي كما قال تعالى [لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعها][٤]، ومنها إحساسها وشعورها وذائقتها لمختلف الأحوال كقوله سبحانه [كل نفس ذائقة الموت][٥]، وبينّ أنها تتقبل الخير والشرّ على حدّ سواء فقال جلّ شأنه [فألهمها فجورها وتقواها][٦]، وأنها هي المبصرة فقال [بل الانسان على نفسه بصيرة][٧]، وأنها مناط التفكّر والتعلّم فقال [أولم يتفكروا في أنفسهم][٨].

ثانياً: أنواعها: أما أنواعها فقد ذكرها القرآن الكريم وبيّنها بحسب درجتها في التقوى والتزكية، منها النفس الأمّارة بالسوء التي تتسم بدافع الغريزة والشرّ

(١) (الفجر/27- 28).
(٢) رواه البخاري، في الجنائز: (١٠١/٢)، وفي التفسير: (٢٢٠/٥)، ومسلم، في الجنة: (٢٢٠١/٣)، والنسائي، في الجنائز: (١٠١/٤).
(٣) (يوسف/68).
(٤) (البقرة/286).
(٥) (آل عمران/185).
(٦) (الشمس/8).
(٧) (القيامة/14).
(٨) (الروم/8).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

والسوء، والاندفاع نحو الشهوات، قال تعالى [إن النفس لأمّارةٌ بالسوء إلاّ ما رحم ربي][1]، ومنها النفس اللوّامة التي أقسم الله تعالى بها، وهي التي تتميز بقوة الضمير والتأنيب، قال تعالى [ولا أقسم بالنفس اللوّامة][2]، ومنها النفس المطمئنة التي تمكّن منها الإيمان واستوطنت فيها التقوى وتمكّنت منها، واطمأنت بالاستقرار النفسي والصحة النفسية، والشعور الطيب بالراحة والسعادة، فاستحقّت خطاب الله تعالى بقوله لها [يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي][3].

ثالثاً: الإعجاز النفسي: لا يخفى على ذي لبّ التأثير الكبير لكتاب الله تعالى في مسامع ونفوس السامعين، فلكلماته وحروفه تأثيرات نفسية وأبعاد فريدة، تتجلّى في خطابه لمكامن النفس وملكاتها الخفية، مما يشي بعلوم ومعارف مهمة تتعلق بأسرار تلك النفس وخفاياها التي تتوارى وتستر عن الكثير من العلماء والمختصّين[4]، ولا ريب أنّ الله تعالى هو الخبير والعالم بخفايا النفس البشرية، لذلك كان لآياته الكريمة فاعلية وتأثير نفسي دقيق وغائر، فقد تناولها بعدة جنبات تعطي إدراك وإحاطة لماهيتها لمن حباه الله تعالى بالفهم السليم عن كتابه الكريم، فكلماته وحروفه لها سحر خاص وتأثير محكم وبارع في النفس البشرية، فحروفه تمضي وتنفذ إلى مكامن النفس وأقطارها وميولها وتأسرها فلا يبقى لها إلاّ التسليم والسكينة لخالقها جلّ في علاه.

وينطوي القرآن الكريم على بلْسم وترياق لمشاكل النفس، من خلال مراعاة مشاعره وتعزيز مبدأ الإيمان والتقوى، وتدعيم صلته بخالقه والاحساس الدائم بمراقبته ووجوده[5]، فالقرآن له ينظر إلى الانسان كوحدة متكاملة فاهتم بحاجاته

(١) (يوسف/٥٣).
(٢) (القيامة/٢).
(٣) (الفجر/٢٧-٣٠).
(٤) ينظر: معجزة القرآن(كتاب اليوم)، للشعراوي: (١/٥٠).
(٥) ينظر: نحو علم نفس إسلامي، لحسن الشرقاوي: (ص١١).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

المتنوعة ومنها النفسية، حيث دقق في عوارضها ووساوسها فقال سبحانه [وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ][١]، فأعراضها من الغضب والخوف والهمّ ... وغيرها، أكّد القرآن على ضرورة تلافيها وعلاجها، لأنها ملازمة للنفس لا تنفكّ عنها، والعلاج مرهون بالتقوى والتقرّب إليه سبحانه، حيث يقول [رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ - إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا][٢]، فعلمه تعالى له سطوة بليغة وأخّاذة على خفايا أنفسنا، قال تبارك وتعالى [وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ -][٣].

فحين ندقق في النصوص والتوجيهات الربانية نقف على غزارة ذلك الاهتمام في سنّ الخطوات المبكرة للمنهج الحياتي للفرد المسلم، مما يجنّبه الاضطرابات المختلفة سواءٌ كانت نفسية أو فكرية وغير ذلك، والدعوة الإسلامية في بداية مسيرتها تصدّت لإشكالات نفسية شرسة وشديدة كانت نتيجةً للتناحر القبلي والممارسات المجتمعية السيئة؛ كدفن البنات وهن أحياء، واستمكان الخمور منهم، واستشراء الربا بينهم، وغير ذلك، مما أشاع مختلف الاضطرابات النفسية والخراب الداخلي للكثير من أفراد تلكم المجتمعات، جميع ذلك تصدّى له الاسلام بكل اهتمام ودقة، وخطّ مسالك وسبل لعلاجه وفق خطوات تربوية مدروسة تستهدف مكامن النفس ومشاكلها واضطراباتها، حتى تحققت السلامة النفسية والسماحة الداخلية لمختلف طبقات مجتمعهم[٤].

تنوعت توجهات الاسلام ومعالجاته بآليات ومناهج تُعنى بهذا المجال، فالتوجيهات الدينية لها أهمية بالغة في إحداث التغيير للسلوك النفسي وتقويمه، وتأسيس السلام النفسي والاطمئنان الروحي للأفراد، فالمقاصد الشرعية تروم تكوين مبادئ عقدية وإيمانية تهتم بتناول

(١) (ق/١٦).
(٢) (الاسراء/٢٥).
(٣) (البقرة/٢٣٥).
(٤) ينظر: علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني، لعبد العلي الجسماني: (ص٧٨).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الجوانب النفسية والسلوكية التي تستشكل عليهم حياتهم، وترشدهم بتأني وروية وبأسلوب حسن لتحديد المفاهيم والسبل التي تحقق للمجتمع سلامة ميوله واتجاهاته النفسية، من خلال مراعاة امكاناته روحياً ونفسياً، فعندما ينتاب الفرد اضطراباً في نفسه ومشاكل داخلية يكون الدين طوق نجاتهم فهو يهيئ لهم تكافئًا واتزاناً نفسياً، من خلال ما يسوقه لهم من توجيهات ونصائح للنفس وطريقة التعامل معها، ففي رعاية الاسلام والاحتماء بكنفه تسهل مصاعب حياتنا وتخف وطأتها وتصير الأمور المادية أشياء لا أهمية لها، بل يتم تنويرهم بمختلف النصائح الإيمانية التي تسهم بمساعدتهم في تحقيق التوازن النفسي، كملازمة الدعاء، وحق اليقين، والقناعة، وحب الخير للناس، كل ذلك وغيره يسهم بتدعيم جبهة الفرد الداخلية، ويوفرّ مساحة من السلامة النفسية والتوازن الروحي[1].

إن التوجيه الشرعي هو من جملة الطرق التي تُسلَك لتجاوز المطبات والمشاكل التي تعترض طريق الصحة النفسية من خلال معالجة الزلل الفكري والظنون الفاسدة، فالأحكام الشرعية تكوّن وترسخ أسمى درجات الأمن النفسي بموازاتها مع الاحتياجات المادية التي لا يمكن أن تجنح عن جادّة العبادة أبداً، بل تسير وفق سياقها العام، فهي ترتكز على دراية الشخص بنفسه وربه وبقيمه ومبادئه روحياً وأخلاقياً، وتوجيهه الى محبة خالقه ودعمه لأخذ المبادرة وتحديد الأهداف على وفق مراد الله تعالى حتى ينشط عنده واعز الحلال والحرام[2]، ويسعى بكل تفانٍ لتحقيق ما يساعده ويساعد غيره، فتغمره سعادة الدارين، فالمواعظ والنصائح النفسية الدينية هي سبيلٌ من سبل الإصلاح لمثالب النفس ومزالقها، وإبقائها على الفطرة

(١) ينظر: العلاج النفسي الحديث قوة للإنسان، لعبد الستار ابراهيم: (ص٥٨)، والسنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية، لهناء يحيى أبو شهبة: (ص٢٥)، وعلم النفس القرآني والتهذيب الوجداني، لعبد العلي الجسماني: (ص٧٨).

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

التي فطر الخالق الخلق عليها، وبذا يمكننا القول إن المواعظ الدينية هي توجيهات روحانية بمفهومها السماوي الرباني زيادةً على عنايتها المنظورة بالمعالجات النفسية الخاضعة للعلوم المادية والتجارب الحسية، وبهذا فهي تضمّ في منهجها مسلكين يكمل بعضهم الآخر، وهما مباشرة الأسباب، والتوكل على الله تعالى وهذا هو عين الكمال النفسي والسلوكي لكل مسلم(١).

ولا يمكن إغفال مدى الترابط الوثيق بين الميول والدوافع النفسية وبين الواجبات الشرعية، فالأشخاص الملتزمون دينياً يتمتعون بتوازن نفسي وأمن داخلي وسكينة روحية سامية، والإسلام خير سبيل لمواجهة الاضطرابات النفسية، ولا يتوهمنّ أحدٌ بوجود إهمالٍ أو تراخٍ في النصوص الشرعية للجانب النفسي ومراعاة الغايات الكلية للناس، إن التفريط والإهمال مضمر في كوامن مَنْ يتصدون لهذه المعارف، ويتصدرون صفوف الدعوة والإرشاد، إذْ يتوجب عليهم تحرير أنفسهم من دواعي المشاكل النفسية، وإثارة التشكيك، وتدنّي الهمّة، والتكاسل والفتور في إرشاد الناس، والتمسك بأحكام الشريعة وتجنّب أقران السوء، لتجاوز هذه الاختبارات والابتعاد عن الإثارة والاضطراب وتجنب القلق النفسي ودوام الثقة واليقين التام بدينه وخالقه، وبقدراته الذاتية على حدّ سواء(٢).

رابعاً: تزكية النفس: تعدّ مهمة تزكية النفس من المسؤوليات الجليلة التي أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل لأجلها، كما بين سبحانه وتعالى بقوله ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

(١) ينظر: المصدر السابق: (ص56)، والوسواس القهري مرض نفسي أم أحاديث شيطانية، لطارق بن على الحبيب: (ص83)، وأهمية الإرشاد النفسي الديني والحاجة إليه وتطبيقاته لأحد الاضطرابات النفسية، لمصطفى عبدالمحسن الحديبي: (ص44).

(٢) ينظر: الأسس النفسية للاتجاه الديني، لسمية أحمد فهمي: (ص٦٧)، والسعادة وتنمية الصحة النفسية، مسؤولية الفرد في الإسلام وعلم النفس، لكمال إبراهيم: (ص٣٤)، والصحة النفسية في المفهوم الاسلامي، لحامد هانم: (ص١١٣).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (الجمعة/٢)، وجعل الفلاح والظفر موقوفاً على تزكيتها من عيوبها، كما جعل الخيبة والخسران على مَنْ دسّها وأخملها بالذنوب والعيوب، فقال جلّ في علاه ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ (الأعلى/١٥)، وقال كذلك ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وقد خاب من دسّاها﴾ (الشمس/٩-١٠)، فتزكية النفس هي المبلغ والمقصد الأسمى لشريعة الله تعالى، وقد أولى العلماء العارفون النفس ومعايبها أيّما اهتمام، معايب كثيرة كالغرور والحسد والتكبّر وغيرها، التي نتجت عن الاكتفاء بالتديّن الشكلي الظاهري مما ولّد أزمة أخلاقية وروحية أسهمت في تأخّر المسلمين وتخلّفهم، فلا بدّ من تشخيص عيوب النفس ومساوئها وطرق البراءة منها[١]، فلا بدّ لكل مسلم نبيه أن تكون له قدم راسية في محاسبة النفس ومجاهدتها وقطع سبل تجبّرها، كالغفلة عن ذكر الله تعالى، والأنانية والغرور، والحسد، وحبّ الشهرة والجاه، والحرص والطمع على الدنيا[٢]، وهناك طرق للإفلات والنجاة من تلكم العيوب، والوقاية من قسوة الهدّ والإفساد لهدم تعاليم الشريعة والتشكيك بأصول العقيدة[٣]، الذي نشب في هذا الزمن العصيب، وهذه الطرق أولها التوحيد الخالص لله تعالى ومراقبته في كل نَفَس سرًّا وعلانيةً، كما قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء/١)، وقال سبحانه ﴿ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ (المائدة/١١٧)، والإخلاص لله تعالى في القول والعمل والسرّ والعلن، كما قال سبحانه ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف/٢٩)، وقال كذلك ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (الزمر/٢-٣)، ومن الطرق أيضًا كثرة ذكر الله تعالى والتفكّر في خلقه، كما قال جلّ

(١) ينظر: إحياء علوم الدين، للغزالي: (١/١٢٧).

(٢) ينظر: المصدر نفسه: (٣/٣٣)، والمكتوبات، للنورسي: (٥٣١).

(٣) ينظر: المكتوبات، للنورسي: (٥٣٢).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

في علاه ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد/٢٨)، وقال سبحانه ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾ (الروم/٨)، كذلك يجب التحلّي بالفضائل ومكارم الأخلاق، لبلوغ كمال العبودية لله تعالى، وصلابة الاعتماد على لطفه ورحمته سبحانه[١]، لتحقيق أسس التربية الروحية التي تواجه أزمة حقيقية في هذا الزمن.

المطلب الرابع: نشأة عقيدة التطرّف وعلاقتها بالطبيعة النفسية

إن عقيدة العنف والتكفير ليست محدثة أو طارئة على بيئتنا وأفكارنا وعقائدنا الإسلامية فقد ظهرت وتبينت معالمها في مراحلها المبكرة، وما انفكت تدلي بدلوها وتثبت نفسها على مجتمعنا بين الفينة والأخرى[٢]، مخلفةً كمّاً مفزعاً من الوجع والألم لمجتمعاتنا وواقع أمتنا وإلى اليوم.

لذلك لابد ابتداءً ومن الضروري فهم الميول النفسية والاستعداد للعنف والتشدّد ضمن نطاقه في واقع أصحابه، مع استصحاب الظواهر السلوكية والبيئية الموازية له، من ذلك أنّ نزعة العنف لعقائد العنف والتطرّف تتجلى واضحة في التناحر والصراع الداخلي للمذاهب والحركات المختلفة، من خلال الاستعداد النفسي والقناعة المسبقة التي تصطبغ بها هذه الجماعات، بمواصفات معينة تشرع من خلالها إلى إقصاء أوساط أو إبعاد جماعة أو اتجاهات أو شخوص وفق مبدأ نزع الشرعية، وفي ضوء المبدأ الأساسي للاستعداد النفسي للعنف وعقيدة تكفير الآخر، قد يبادر المعنّف والمكفّر الى الاجتهاد والتأويل المتطرّف لإقصاء المناوئين والمنافسين عن خريطة الانتماء، مع الاستنجاد والاستعانة بكم هائل من

(١) ينظر: صيقل الإسلام، للنورسي: (ص٤٦٢).
(٢) ينظر: شرح المواقف، للجرجاني: (٨/٣٨٥)، وفتح الباري، لابن حجر: (١٢/٣٠٠)، والشامل في أصول الدين، للجويني: (ص٦٤)، والاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي: (ص١٣٥)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي: (١٤/٣٧٦)

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

المصطلحات التي تضفي الشرعية لأسلوب الاقصاء هذا، وبالتالي فحين تحيد جماعة أو طائفة عن نسق أفكارهم أو عقائدهم وأهدافهم بغض النظر عن مشربهم ولونهم، هرع القوم لمخالفهم كلّ مرصد، واستعدّوا نفسياً لتقبّل الإطاحة به، ووصمه بشتّى نعوت المروق والهرطقة، ودمغه بكل الاتهامات، ويكفيهم للعنف والتطرف أن يُمسّ بشرف وأصول مكوّنهم أو فردٍ منهم، وبالنتيجة لجوؤهم الى العداء والعقاب[1].

وقد يتجلّى بعض العنف بعد الاستعداد النفسي لإضفاء الشرعية عليه بنعت المخالف بالرجعية والتخلّف صراحة أو تلميحاً، أو أنه حداثي ومبتدع، وتكون صورة وهيئة هذا النعت بنصٍّ أو منطوقٍ أو صور أو إيحاء، على نحو يحقق الهدف ويحدث التأثير، وهذه وصْفاتُ إقصاءٍ ناجعة ومثالية لأي طرف من المجتمع، مما يسهم في سدّ باب التفاعل والمساهمة في وجهه إنْ لم يبادر الى التوبة والامتثال لما يراودون وأمام الجميع[2].

وكما قلنا يكون الإقدام على الاقصاء مسبوقاً بالاستعداد النفسي، لذلك كما بيّنا وبنفي عوامل الانتماء والاتّهام بنقيضها، ويكفيهم أن يُوْحي قائلُهم بأنّ مخاصمه يتصف بالحداثة أو الابتداع، حتى يسمح بإسلوب عزله، ونعته بنعت شائن من خلال استدعاء الخلفية السلبية في أذهانهم التي تصاحب الحداثة وإسقاطها على خصومهم[3]، وقد حذّرنا النبيّ صلى الله عليه وسلم في خطبة الوداع من فداحة هذه الخطيئة وما تنطوي عليه من شقّ وحدة المسلمين وانتهاك حرماتهم[4]، حيث قال: (فَإِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ) ثَلاَثًا، كُلُّ ذَلِكَ يُجِيبُونَهُ: أَلاَ، نَعَمْ. قَالَ: (وَيْحَكُمْ، أَوْ وَيْلَكُمْ،

(١) ينظر: الحديث النبوي وعلم النفس، لنجاتي: (ص٧٨).

(٢) ينظر: السلوك الإنساني، لعويضة: (ص ٥٥).

(٣) ينظر: المصدر نفسه.

(٤) ينظر: فتح المعين، للمليباري: (٥٧٣/١)، وإعانة الطالبين، للبكري: (١٥٦/٤)

لاَ تَرْجِعُنَّ بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ)[١].

وعند مراجعة عميقة لعقائد التكفيريين[٢] وخطاباتهم، نجد أنها تتسامح نفسياً وتستعد للعنف والتطرف وتستبطن منطقاً تكفيرياً بأساليب دقيقة وفعّالة في رمْي مخالفيها بمفردات في قاموس العمالة والبدع وغيرها، وقد ينتج عن هذا عرائض إقصاء ولوائح سوداء وخطوات تأديبية مخففة كانت أو عقابية مشددة تفتك أثارها بمن يسمّون المارقين، فيتحرك واعز التكفير على منع امتيازات ومواهب انتمائهم المشترك عن جماعاتٍ وأفرادٍ بصفاتٍ مخصوصة، بما لا يؤهلها لشمولها بمميزات الانتماء لهم، فالشخص يتركب من جوانب مختلفة كالديني والنفسي والسياسي وغيرها، ومن الخطأ الفادح تهميش تلكم الجوانب واغفالها والتي قد لا تتضمن إدانة واضحة للمتورطين بالعنف نظرياً أو عملياً، فالبحث الموضوعي يستلزم عدم تجاوز ذلك السلوك العنيف؛ لأن التطرف العقدي والفكري يتطلب مراجعة دقيقة مع عدم اهمال الاسباب «الإيجابية» التي التبس بها في إطار نيته وممارساته في فترة من فترات حياته[٣].

لذلك لا بد من تحديد وتوصيف علمي لطريقة نشوء عقيدة التطرف والتكفير التي استشعر خطورتها الإمام الغزالي بقوله «الخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك محجمة من دم مسلم»[٤]، ولعل من دوافعها الشعور بالظلم الحاصل على البعض يودي بهم ولا سيما الشباب الى ضغوط نفسية مفزعة وثوران روح الاندفاع والمغامرة لديهم لرفع الحيف والتجاوز عنهم ودفع الاضطهاد، فقابلية البعض وانصياعهم تجعلهم عرضةً للتأثر بمثل

(١) رواه البخاري، برقم (١٧٣٩)، وحكمه صحيح.

(٢) ينظر: الاعتصام، للشاطبي: (ص١١٤)، وعمدة القاري، للعيني: (٤/١٢٥).

(٣) ينظر: الإسلام في حياة المسلم، للبهي: (ص٢٠٤).

(٤) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي: (١/ ١٣٥).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

هذه العقائد والأفكار، ويعدّ هذا التأثر من سماتهم النفسية التي تكوّن شخصيتَهم، فتراهم يغيّرون في آرائهم وقيمهم وسلوكهم بغية التوافق مع الجماعة أو القوة الموجودة على الأرض، مصحوباً كل هذا بقناعات داخلية وإيمان بكل ما ينتابهم من اندفاع وممارسات تبرّر أفعالهم، باعتبار أنهم تجاوزوا جانب استعدادهم نفسياً واقتناعهم عقلياً لتبرير معتقداتهم وأفعالهم وإعطائها المبرر والدافع لإضفاء الشرعية عليها بمبررات قوة وغطاء وهميين، لتكوين بيئة تمكّنهم من بلوغ أغراضهم وأهدافهم بعد تلبيسهم بين الحق والباطل وتضليلهم، وإذا استدعوا مكامن الغضب في نفوسهم تصير عندهم قوة غاشمة تعيث فساداً بعباد الله أينما حلّت[1]، وهي التي حذرنا منها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال «يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مع صَلاتِهِمْ، وصِيامَكُمْ مع صِيامِهِمْ، وعَمَلَكُمْ مع عَمَلِهِمْ، ويَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ في النَّصْلِ فلا يَرَى شيئًا، ويَنْظُرُ في القِدْحِ فلا يَرَى شيئًا، ويَنْظُرُ في الرِّيشِ فلا يَرَى شيئًا، ويَتَمارَى في الفُوقِ»[2].

وفي تدقيق سمة هذه العقائد المتطرفة العنيفة يلاحَظ أن تورطها بالتطرف والعنف يبدأ كصفة مؤقتة ثم تتقبله أنفسهم وتعتاد عليه ويصير عندهم شبه طبيعي، بعدها ينتقل إلى سمة دائمة، فقابليتهم للانجراف واللهث صوب الانحراف العقدي والفكري تبدأ كنواة نفسية وميل نفسي لها وفكرة تهيمن على كيانهم المعرفي، مما يعتريهم مستوىً عالٍ من التحّيز والعنصرية لها، ؛ فلا يستجيب كيانهم المعرفي عندما يريد التفكير والنظر في أي مسألة أو قضية إلا للصفات والسمات والأفكار التي تتوافق مع هذه الفكرة ولا تنفك عنها، وعمل جهازه المعرفي وسلوكه النفسي على عملية غسل أدمغة وتلاعب نفسي لأجل أن تحلّ العقائد

(١) ينظر: موسوعة العقيدة الإسلامية، للجليند: (١٠/ ٤٧).

(٢) رواه البخاري، برقم (٥٠٥٨)، وحكمه صحيح.

والأفكار المحدثة مكان القديمة: كما حصل لدى الخوارج وغيرهم[١]، وتتكون شخصية جديدة بعقيدة متطرفة تمتاز بأنها سطحية وعديمة الشعور ومعادية لمحيطها الاجتماعي وتفتقر الى التفاعل والحيوية وتبتعد عن الروابط الشخصية والعلاقات الاجتماعية وغيرها من الصفات التي تدل على الانطواء والانعزال[٢]، وهذا كله نتيجة العوامل النفسية والسلوكية والاجتماعية والمادية التي أحاطت بالشخص وقت نشأته، مما ولّد عنده هذا السلوك العنيف لينال مبتغاه، وهكذا شخصية لا يمكنه الندم والرجوع عن إجرامه بل يتمتع بالمتعة والانتعاش عقب أعماله، وربما يكون الشخص متعلماً فيوظف معلوماته وخزينه المعرفي لخدمة أفعاله الإجرامية وتطرفه العنيف، وهكذا يصير الانسان غير سويٍّ نفسياً وعقلياً وعقدياً بعد تعرضه لمشاكل وتغيرات نفسية أو عقدية، ولكن بصورة متدرجة وبمراحل دون أن تلاحَظ من أحد، ثم تستفحل وتتمكّن منه دون أن يشعر بها أحد، حتى تصير شخصية صعبة التكيّف مع المجتمع مصابة ببلادة الحس، وضعف الاندماج مع المحيط الاجتماعي وموت العاطفة، بل يقف بالضدّ من مجتمعه، وتصيبه نزعة التحدي والعدوان والاندفاع في العنف والتطرف في الوقت المناسب، وانعدام محاسبة الذات وعدم الاستطاعة على شعوره بالندم، ولا شكّ أن أغلب هذه الصفات مهيأة لأن تهوي في شراك العقائد التكفيرية والارهاب الفكري والتطرف العنيف[٣] كما بدأت المشكلة في زمن سيدنا علي رضي الله عنه[٤] ثم توالت

(١) ينظر: المقالات والفرق، للقمّي: (ص٨٥ و٢٢٢)، والفرق بين الفرق، للبغدادي: (ص٦٠-٦٣)، والتبصير في الدين، للاسفراييني: (ص٤٩)، والملل والنحل، للشهرستاني: (١/٩٥-٩٧).

(٢) ينظر: الإيمان والحياة، للقرضاوي: (ص٣٤٢).

(٣) ينظر: الإسلام و قضايا علم النفس الحديث، لنبيل السمالوطي: (ص٤٣).

(٤) ينظر: مقالات االإسلاميين، للأشعري: (ص٣٢٣)، والتمهيد، للباقلاني: (ص١٨٦)، وأصول الدين، للبزدوي: (ص١٩٠).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وتطورت بعد ذلك وإلى اليوم.

المطلب الخامس: الترابط بين العقيدة الوسطية والميول النفسية

إنَّ نظرة الشخص للكون في مختلف ميادينه، وكذلك دوافعه وعاطفته وإحساسه ومشاعره كلها تتأسس على العقيدة التي يؤمن بها،، والتي تؤسس لبنيانه دينياً وفكرياً وأخلاقياً واجتماعياً وسلوكياً وغير ذلك، لما للعقيدة من أثر كبير وحاسم في النفس البشرية، وهي بمثابة عامل أساسي يسهم في تحديد الكثير من سلوكيات الشخص وممارساته المتنوعة، فآثارها غائرة في النفس ولها حصيلة مهمة فيها،، وبالتالي أثرها على كل التفاصيل الحياتية للشخص، كما إن الجوانب النفسية لها الأثر الحاسم والمؤكّد في وسطية العقيدة الإسلامية، فكلّ منهما يؤثر في الآخر إيجاباً أو سلباً، وفي هذا المبحث سأبرز أهمية السلامة النفسية في الأمن الفكري والعقيدة السليمة المعتدلة، وكذلك الإبانة عن أمد الفاعلية للعقيدة الوسطية في توجيه سلوك المسلم ونظرته للحياة والمجتمع، وبيان الأسس النفسية التي تسهم في تكوين الشخصية العقدية التي تنعم بسلوك صائب ومستقيم، له غاية وهدف سامي يسعى إلى تمثيله في الواقع العملي والحياتي للمسلمين، وعدم الاكتفاء بالالتزام الشخصي فقط.

لذلك سأقسم هذا المطلب إلى عدة فروع لنصل إلى الفكرة المنشودة منه .. وكما يأتي:

أولًا: وسطية العقيدة منهج ربّاني:

حين ندقق النظر في كتاب الله تعالى نجد أن حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم (خير الأمور أوسطها)[1] يتجلى واضحاً في ثنايا الآيات الكريمة، فهو يقرر الوسطية في العقيدة والفكر وجميع أساليب وتفاصيل الحياة، فالوسطية فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها، لا يجانبها إلاّ ساذج ومشوّش، كونها تواءم النفس البشرية وطبيعتها، فالله تعالى خلق النفس وهو الخبير بمكامنها

(١) أخرجه البيهقي في- سننه - (٣/ ٢٧٣).

وعقدها، ويعلم ما يصلحها وما يفسدها، فسنّ لها منهجاً يمنحها التوازن والتوسّط في كل تفاصيلها فهو تعالى العليم الخبير بتلك النفس البشرية.

والأمثلة على ذلك المنهج الوسط المعتدل كثيرة ومضطردة في كتاب الله تعالى، منها قوله سبحانه [وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً][١]، وقوله تعالى[لاَّ فَارِضٌ وَلاَ بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ][٢]، وقوله تعالى [وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا][٣]، وقوله سبحانه [وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ البسط][٤]، وقوله جلّ في علاه [ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً][٥].

وأرشدنا إلى التوسّط في العقيدة ككل فقال سبحانه [صراط اللذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين][٦]، وقوله تعالى[ويريدون اللذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً][٧]، وقال كذلك [يا أهل الكتاب لا تغلو في دينكم غير الحق][٨] ... .، وفي التعاطي مع الصفات الإلهية نجد أن عقيدة السواد الأعظم من المسلمين قد حذت حذو المسار القرآني في انتهاج الطريق الوسط في الاعتقاد والفكر، وتوسّطوا فيها وأثبتوها كما وردت في الكتاب والسنّة، وهي لا تماثل صفات المخلوقين[٩]، وصفاته تعالى قديمة أزلية تقوم بذاته جلّ في علاه[١٠]،فكانوا وسطاً بين النافين لها والمعطّلة[١١]، وبين

(١) (البقرة/١٤٣).
(٢) (البقرة/٦٨).
(٣) (الفرقان/٦٧).
(٤) (الإسراء/٢٩).
(٥) (الإسراء/١١٠).
(٦) (الفاتحة/٦).
(٧) (النساء/٢٧).
(٨) (النساء/١٧١).
(٩) ينظر: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر: (ص١٤٩)، والملل والنحل، للشهرستاني: (٨٢/١).
(١٠) ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني: (٨٢/١).
(١١) المعطّلة: من أخذوا بتعطيل الصفات الالهية كالمعتزلة، بذريعة تعدد القدماء مع الله تعالى، أو تجنّب التجسيم والتشبيه لله تعالى بمخلوقاته ... .ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني:

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

المشبّهين والمجسّمة حين ماثلوا بين صفات الخالق والمخلوق واعتقدوا أن لله تعالى جسماً كسائر الأجسام وعلماً كسائر العلوم وقدرة كسائر القُدَر[١] ...، كذلك التوسّط في مسألة أفعال العباد نجد أن أغلب علماء الكلام من الأشاعرة وغيرهم لم يقولوا بالجبر المحض[٢] وينفوا قدرة العبد بالمطلق، أو يثبتوا القدرة للعبد إطلاقاً، ولا دخل لله فيها، بل توسّطوا في المسألة واعتمدوا نظرية الكسب[٣]...، كذلك التعاطي مع مسألة رؤية الله تعالى، حيث أن أهل السنة قد اتفقوا على جواز رؤية الله تعالى يوم القيامة، في حين نفاها المعتزلة[٤] وبعض فرق المسلمين، أما المجسمّة[٥] فأسسوا

(١/٥١)، ونهاية الإقدام، له أيضاً: (ص٩٠)، والمنقذ من الضلال، للغزالي: (ص١٠٧)، والرد على الجهمية، للدارمي: (ص/٣٤)، ومختصر الصواعق المرسلة، للموصلي: (١١٣/٢).

(١) ينظر: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر: (ص١٤٩).

(٢) الجبر المحض: ويعني نفي القدرة والفعل والقصد والاختيار عن العبد بالمطلق، وهو كالريشة في مهب الريح ...، والجبرية هم بذلك ينفون مبدأ الثواب والعقاب والتكليف ... . ينظر: شرح المقاصد، للتفتازاني: (١٢٧/٢)، ومقالات الإسلاميين، للأشعري: (٣٣٨/١)، ومناهج الأدلة، لابن رشد: (ص١٠٦).

(٣) نظرية الكسب: تعني أنّ العبد بين الفعل الذي هو من خلق الله وإيجاده، وبين اختياره وقصده وتوجهه للفعل، من غير تأثير له في إيجاده وإظهاره للوجود... . ينظر: تاريخ المذاهب الاسلامية، لمحمد أبو زهرة: (ص١٨٤)، والخطط، للمقريزي: (٣٦٠/٢).

(٤) المعتزلة: من الفرق الإسلامية التي ظهرت نهاية العصر الأموي، وانتشرت في العصر العباسي، وقد سلكت الطريق العقلي المحض في التعامل مع المسائل العقدية ولا سيما الغيبية منها، مما أودى بها في أخطاء عقدية جسيمة، لها عدة أسماء مختلفة منها: المعتزلة والقدرية والعدلية وغيرها. ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، لمانع بن حماد الجهني: (ص: ٦٩).

(٥) المجسّمة: هم من الفرق المشبهة الذين يشبهون الخالق بالمخلوق ويثبتون لله تعالى أعضاء جارحة وصفات مادية محسوسة ،فأطلقوا نعت الصفات وفق المعاني اللغوية يسمونها صفات كاليد والأصابع والوجه والساق والقدم والرجل والعين والجنب والجلوس والحركة والحد والجهة، وغير ذلك من صفات الحادثات والمخلوقين, يستدلون بماء جاء من نصوص قرآنية توهم المشابهة بين الخالق والمخلوق،

الرؤية على استصحاب قاعدتهم المعروفة من أن الخالق سبحانه جسمٌ محصور بجهة، والرؤية تتحقق بالمقابلة بين جهتي الرائي والمرئي، مما أوقعهم في التشبيه المحض، في حين نجد كيف أن الأشاعرة قد توسّطوا بين النافين للرؤية من الأساس ومَنْ أقرّ رؤيته تعالى كسائر المخلوقات[١]، فقالوا يُرى من دون كيفٍ وحدٍّ وحلولٍ من غير مكان وجهة وصورة ومقابلة وغيرها من لوازم المحسوسات؛ لأن هذا من المستحيلات في حقّه تعالى، فكما أن الله تعالى ليس كمثله شئ، فكذلك رؤيته ليس كمثلها شئ[٢].

وفي التعاطي مع النصوص المتشابهة الواردة في الكتاب والسنة والتي توهم في ظاهرها مماثلةً بين الخالق والمخلوق، كقوله تعالى [الرحمن على العرش استوى][٣]، وقوله [ويبقى وجه ربك][٤]، وقوله [تجري بأعيننا][٥]، وقوله [يد الله فوق أيديهم][٦] ...، ولفظ النزول في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ (ينزل ربّنا تبارك وتعالى كلّ ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَنْ يدعوني فأستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له)[٧]، فقد أقرّ العلماء وفي مقدمتهم الأشاعرة خطّاً وسطاً في التعامل مع تلكم

كقوله تعالى: ((يَدُ اللَّهِ فَوقَ أَيدِيهِم)) (الفتح:١٠)، وقوله: ((الرَّحمَنُ عَلَى العَرشِ استَوَى)) (طه:٥)، وقوله: ((كُلُّ شَيءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجهَهُ)) (القصص:٨٨)، وقوله: ((يَومَ يُكشَفُ عَن سَاقٍ)) (القلم:٤٢) ...، وسبب بطلان هذا الاعتقاد أنهم جعلوا لله تعالى جسماً وما يستلزمه ذلك من لوازم باطلة. ينظر: الأشباه والنظائر، للسيوطي: (ص٤٨٨)، ونجم المهتدي، لابن المعلم: (ص٥٨٨).

(١) ينظر: الملل والنحل، للشهرستاني: (١/ ٨٧)، والإبانة، للأشعري: (ص٥١)، واللّمع، له أيضاً: (ص٦١ وما بعدها).

(٢) ينظر: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر: (ص١٤٩)، والملل والنحل، للشهرستاني: (١/ ٨٢)، والخطط، للمقريزي: (٢/ ٣٦٠).

(٣) (طـه/٥).

(٤) (الرحمن/٢٧).

(٥) (القمر/١٤).

(٦) (الفتح/١٠).

(٧) صحيح البخاري، ١٩، كتاب التهجّد، و ١٤، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم ١١٤٥ بهذا اللفظ.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

النصوص بطريقين: الأول عدم التأويل، فالخالق تعالى له يد صفةٍ تليق بذاته ليست جارحة كما في أيدي الحادثات، كما في باقي الصفات من السمع والبصر وغيرها[١] من الصفات الخبرية التي وردتنا بطريق السماع ويجب الإيمان بها[٢]، حيث كانوا وسطاً بين المعتزلة القائلين بالتأويل المطلق، والمشبّهة القائلين بالتجسيم[٣]، كذلك نلاحظ بجلاء توسّطهم في عقيدة الشفاعة للنبي ﷺ يوم القيامة، فهم اعتدلوا بين من ينكرها من الأساس كالمعتزلة، وبين من يبالغ فيها إلى حدّ أنها من دون اذن الله تعالى، كالمغالين من بعض فرق المسلمين[٤].

لذلك نجد أن علماء الأمة توسطوا في تناولهم للمسائل العقدية واستدلالهم عليها في اعتماد طريقي النقل والعقل معاً، فلم يجعلوا العقل حاكماً على السمعيات والوحي ولم يؤلوها بالمطلق كالمعتزلة، أو يعتمدوا المعاني اللغوية لظاهر النص، كما فعل بعض المحدّثين، وإنما جعلوا العقل رديفاً ومكملاً لظواهر النصوص[٥].

والأمثلة من الكتاب والسنّة مشاعة جداً ومبثوثة، أكتفي بما تمّ إيراده فهو وافٍ لما قصدناه من المسألة.

تبعاً لما تقدّم يجب على العلماء وبموازاة اهتمامهم بالجنبات النفسية وعقدها، أن يأخذوا بالمنهج الرباني والتربوي في التوجيه والتشريع، منهج الوسطية والاعتدال ويحذوا حذوه، وهذا يستلزم تصحيح المفاهيم والتصورات الخاطئة والغامضة، وتقويم المعوجّ منها، لتجنيب العباد التطرّف والغلوّ، والتقصير والإفراط، مما يؤهل مجتمعاتنا أن تكون بمصاف

(١) ينظر: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر: (ص١٥٠).
(٢) ينظر: الإبانة، للأشعري: (٢١-٢٢ و ص١٠٨ وما بعدها)، و الملل والنحل، للشهرستاني: (٨٨/١)، والخطط، للمقريزي: (٣٦٠/٢).
(٣) ينظر: تبيين كذب المفتري، لابن عساكر: (ص١٥٠).
(٤) ينظر: المصدر نفسه: (ص١٥١)، والإبانة، للأشعري: (ص٢٤١).
(٥) ينظر: مناهج الاجتهاد في الإسلام، لمحمد مدكور: (ص٥٠٥).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الأمم المثالية .. قال تعالى [كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ][1].

ثانياً: الدافع النفسي لوسطية العقيدة:

بالنسبة للنفس البشرية وعلاقتها بالوسطية أقول إن مما تجب معرفته أن الأنسان لا يمكنه الاكتفاء بسلامة الجسد فقط في أخذ مجاله ودوره في فترة حياته مالم تلازمه السلامة النفسية التي تعدّ هي الأساس المهم الذي يستند إليه في ممارسة نشاطاته الحياتية المختلفة، وسلامة النفس وسماحتها تتأتى من خلال العقيدة الوسط والالتزام بأصول الدين وتعاليمه؛ لأن هذا هو السبيل الوحيد الذي يوفّر الراحة والطمأنينة لصاحبه، مما يؤثر في سلوكه الديني وسلامته القلبية، فيبث السماحة والمحبة لمحيطه ومجتمعه، فقد استوجبت حكمة الله تعالى توجيه الناس إلى المصادر والينابيع التي ينهل منها العلوم والمعارف حول نشأة الكون والغاية من خلق الانسان وغير ذلك، ليتحقق بالاعتقاد الصائب الوسطي الذي يخلو من الدنس والمطعن، يتناءى عن كل تشدّد وغلظة، فمشعل الفطرة السليمة هو دليله إلى بريق العقيدة الصحيحة.

إن عقيدة كل شخص هي صورة من صور الإيمان والاعتقاد بوجود لطف وعناية إلهية تمدّه بالقوة وتمنحه الطاقة على الرحمة والرأفة بالخلق واجتناب الغلو والتطرف، وتبني عقيدة سمحة تسارع في إسعاد الناس والإحسان إليهم، واختلاق الأعذار لهم والتخفيف عنهم، ولا سيما أننا راجعون الى الله تعالى في نهاية المطاف فلا يفوز إلا من اتّسم بعقائد الاعتدال والوسطية[2].

فصاحب العقيدة السليمة والسماحة النفسية يراقب أفعاله ونشاطاته بشكل دائم، ويسعى الى صفاء سريرته وتطهير نفسه من عيوبها الدفينة كالحسد والتكبر وكره الناس وغيرها، وثمرة تزكية نفسه هي العقيدة الصافية التي تؤهل صاحبها ليكون عنصراً

(١) (آل عمران/ ١١٠).

(٢) ينظر: القرآن وعلم النفس، لنجاتي: (ص٢٧).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

فعالاً في خدمة محيطه الاجتماعي بشكل إيجابي، ويوظف سلوكه وجهوده بشكل أمثل، حتى يصير إنساناً سوياً متسامحاً يبني ويجمع بدل أن يهدم ويفرّق، فالشخص المعتدل عقيدةً وسلوكاً يمتاز بشعور الراحة والطمأنينة وحبّ الناس، وخلوّه من ضغوطات نفسية وتوتّرات داخلية تجنبه عن التعصّب والكراهية والتطرّف، سواء في اعتقاده أو سلوكه أو تفاعله مع محيطه ومجتمعه[1]،

لذلك يلعب الجانب النفسي دوراً مهماً وحاسماً في تكوين عقيدة الشخص معتدلة كانت أو متطرفة، فالشخص سليم السريرة وسطي العقيدة يكون مصدر سلامٍ وراحةٍ وطمأنينةٍ للجميع، ويمارس وظائفه الحياتية والدينية عن طريق حب الخير للناس وتنفيس كرباتهم ومساعدتهم قدر المستطاع، على العكس ممن هو سيء السريرة خبيث النفس فاسد العقيدة فلا شكّ سيكون منعزلاً ومنطوياً على نفسه، وسينطوي سلوكه على الاضطراب والكراهية، ويقوم بإشباع حاجاته عن طريق التعصب والتشدد والإقصاء، وممارسة العقاب والقتل للأخرين كما فعلوا بكبار الصحابة رضي الله عنهم[2]، وهذا الانحراف النفسي له أسبابه التي تعود للشخص نفسه ونشأته، كحب التسلّط وضعف الجانب العلمي والتربوي وضعف الاندماج في المجتمع والعوز المادي وغيره، كل تلك الأسباب تغذي الجوانب والميول النفسية السيئة والانكسار الداخلي، وهي عنصر حاسم في شيوع البؤس والإحباط نتيجة تنامي الفساد والظلم والحاجة المادية والبؤس وهذه عوامل تسهم في الانحرافات النفسية مما يؤدي بالضرورة الى الانحراف العقدي والتشدد والتطرف[3].

(١) ينظر: المصدر نفسه: (ص٤٤).

(٢) ينظر: فتح الباري، لابن حجر: (١/ ٦٧)، والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي: (٧/ ٣٣٢).

(٣) ينظر: الوسطية في الاسلام وأثرها في تحقيق الأمن، لسعيد بن فالح: (٥٢-٥٥)، ورؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف، لعلي بن فايز الجنحي، : (٢٥٧-٢٥٩).

لذا ركزت النصوص الشرعية في توجيهها لسلوك الناس على ضرورة أن يسلك الشخص سلوكاً صائباً ومتوازناً نفسياً، وفرض جملة من العبادات والأحكام المتنوعة تتضمن تزكية النفس ومجاهدتها وضبط رغباتها وميولها واستعداداتها، ولا ريب أن الامتثال لهذه التوجيهات الربانية هي ترياق مجرّب لتحقيق السلامة النفسية والعقيدة والوسطية، كما تمدّ صاحبها بالحماية الذاتية من مختلف المشاكل النفسية[١]؛ لأن الدوافع النفسية هي من الأهمية بمكان في شريعتنا الغراء وهي تلفت الانتباه والتساؤل عن الاسباب التي تدفع شخصاً ما الى التصرف بطريقة معينة «إيجاباً أو سلباً»، كأن نرى أحداً ما يقدم حياته في سبيل الله أو يقدم حياته بسبب تافه، وكلا الدافعين لا شك توجههما أما سلامة نفسية مطمئنة وعقيدة صحيحة وسطية، أو مشاكل نفسية وعقيدة متشددة ومتطرفة[٢]، ما أريد أن أقوله إن الاستعداد النفسي مهم جداً في حياتنا وديننا وعقيدتنا فالميول النفسية تؤدي الى فعل أي شيء لإشباع تلك الميول للنفس التي تحدد مسارات أفكارنا وعقائدنا وسلوكنا وتجعلنا نسلك سبلاً معينة دون أخرى، وإن لم تشبع تلك الميول النفسية وتأخذ مرادها، سيشكو الشخص من المشاكل النفسية والاحباطات على جميع الأصعدة ومنها العقدية والفكرية[٣].

فالدوافع لها أهمية كبيرة في حياتنا, هي التي تدفعنا إلى العمل وبذل الطاقة والنشاط لأجل إرضاء هذه الدوافع, وهي التي توجه مسارنا وتجعلنا نختار طرقاً دون أخرى, وإذا لم يتم إشباع الدوافع سيعاني الفرد من التوتر والإحباط النفسي ؛ لأن المشيئة الإلهية اقتضت أن يتجاذب البشر اتجاهان متقابلان للخير والشر وسلوكان متضادان سوي وسيء، والشخص هو من يحدد مسار ذلك السلوك بحسب انضباطه

(١) ينظر: القرآن وعلم النفس، لمحمد نجاتي: (ص٢٦٢).

(٢) ينظر: العقيدة وأثرها في بناء الجيل، للدكتور عبد الله عزام: (ص: ١٠).

(٣) ينظر: علم نفس الشخصية، لعويضة: (ص ٢٢٠).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الشرعي من عدمه [1].

وفي هذا السياق لابد أن أعرج على أهمية محبة الناس واللطف بهم، فالمحبة لها دور مهم وحاسم في توجيه سلوك الشخص وتحديد توجهاته العقدية والفكرية ومعاملاته الحياتية، فالمحبة تعدّ أصلاً يحدد علاقة الشخص بغيره على مستوى الفرد والجماعة والعلاقات الانسانية، قال صلى الله عليه وسلم (لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)[1]، وهذا الحديث هو مِن الأحاديث المهمة التي يتأسس عليها مدار الدِّين، ولو تخلق العباد به لانتفت الكثير من المنكَرات والعداوات بين الناس، ولعمَّ الناس السلام والسماحة، وهذا يتحقق بسلامة الصدور مِن الغل والحسد، وهذا المبدأ يتجلى بصورٍ متنوعة ومتعددة في محبة الشخص لأهله ومجتمعه وحبّه لخالقه تعالى ونبيه صلى الله عليه وسلم والصالحين من أمته، ومحبته للمبادئ التي تربّى عليها وغير ذلك، فهو بهذا يعيش عيشة هنيئة متوازنة يسودها الأمن والاطمئنان العقدي والنفسي وسلامة القلب ونقاء الروح ،فيحقق الفرد حياة طيبة من دون تعب ومضرّة لا لنفسه ولا لغيره، لأجل هذا نجد أن التوجيهات الشرعية والأصول العقدية والأسس الإيمانية كلها تهدف الى التوازن والتوسط في كل شيء عقدياً كان أو فكرياً أو سلوكياً ونفسياً سواء مع نفسه أو مع الآخرين[2]، مما يجنب الشخص والجماعة الوقوع في أحضان التشدّد، ولا سيما أن الكثير من الفرق الاسلامية منذ مطلع الاسلام يلاحظ أنها جنحت عن مقاصد الشرع، وصارت إلى وحشة الشذوذ العقدي، مخالفة بذلك فضيلة الاتباع والانتفاع[3]، واستمرّ ظهور أمثالها إلى وقتنا المعاصر.

ولا ريب أن أسمى جانب في المحبة الانسانية هو أن يحب الشخص خالقه وموجده جلّ جلاله، وهذا يحقق لصاحبه

(١) رواه مسلم: ص ٥٠، برقم (٤٥).

(٢) ينظر: أصول الصحة النفسية، لأحمد عبد الخالق: (ص٣٨).

(٣) ينظر: رسالة إلى أهل الثغر، لأبي الحسن الأشعري: (ص١٣٤).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

السموّ الروحي والنفسي والسلوك المنضبط، ويعدّ هذا الأصل أساساً تبنى عليه كل ممارسات المسلم وتوجهاته العقدية والفكرية والسلوكية، وهو دافع يوجه سلوكه توجيهاً سليماً وسطاً، فإذا ما اتّصف المسلم بمحبته للمولى تبارك وتعالى؛ فلا شك تصير ممارساته وأفكاره وعقيدته خاضعة لأحكام الخالق تعالى، وموجَّهة الى فعل كل ما من شأنه رضاه والابتعاد عن كل ما يبغضه ويوجه على اجتنابه[١]، يقول عز وجل﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]، وقال تعالى﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[٣]، وبالتالي فمحبة نبيه صلى الله عليه وسلم يكون بعد محبة الله تعالى، فهو عليه الصلاة والسلام حلقة الوصل بين الخالق والمخلوق، وهو رحمته الى العالمين والمثل الأعلى في كل شيء، وكمال الايمان لا يتحقق الا بوجود هذا المبدأ الراقي، يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام [لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين][٤]، ومن تخلق بمحبة خالقه ونبيه تتسم مشاعره بالطمأنينة والراحة ومحبة الناس، والإحسان إليهم وحسن التعامل معهم وعدم الاساءة لأحدٍ من المخلوقات ؛ لأنه يتصف بعقيدة صافية وسطية مغمورة بالمحبة والسماحة واللطف بعباد الله تعالى[٥].

فالعقيدة الحقّة هي التي أسهمت في تجنيد الجيوش بالآلاف للنبي صلى الله

(١) ينظر: الحديث النبوي وعلم النفس، لنجاتي: (ص٧٨).
(٢) (سورة المائدة: ٥٤).
(٣) (سورة القلم: ٤).
(٤) رواه البخاري في صحيحه، برقم (١٥)، كتاب الإيمان / باب: حب الرسول: (١/ ٣٠).
(٥) ينظر: الحديث النبوي وعلم النفس، لنجاتي: (ص٧٨).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

عليه وسلم حين خرج مهاجراً من مكة مطارداً ومعنّفاً من قومه، ولم يتمكن أعداؤه من الصمود بوجه قوة وصلابة العقيدة المهيمنة، فأذعنوا له وانقادوا إليه صاغرين، فالاتباع السليم يسهم في لجم نزوات المتشددين ويمنع عن الأمة شرورهم.

ثالثًا: الصلة بين الصحة النفسية والعقيدة المعتدلة:

مما لا شك فيه أن لسماحة النفس وصحتها الأثر المؤكَّد والجازم في تحديد عقائد الناس الوسطية المعتدلة، حيث تتجلى آثار السلامة النفسية في تحديد العقيدة السليمة السمحة، والمدقق للعقيدة الوسطية يلاحظ آثارها جليةً في ممارسات أصحابها وأقوالهم وأحوالهم، فدور الإيمان الصحيح والعقيدة السليمة مهم في بناء الشخصية المتوازنة وتكوين سلامة نفسية وسريرة متسامحة[1].

فتكوين العقائد المعتدلة له صلة وثيقة بميول النفس البشرية لما لها من قدرة على التأثير, ولعل إيمان المرء بخالقة وتوحيده له يعدّ من أهم الجوانب التي تتأثر بالعوامل النفسية وتدخل في بناء الشخصية المتسامحة للإنسان مع نفسه ومع الاخرين، فالجوانب السلوكية للنفس البشرية ولا سيما ما لها صلة بالناحية الدينية أو الروحية لم تأخذ نصيبها الكافي من البحث والدراسة، لذا فلابدّ من يتبناها الباحثون بالفحص والتدقيق، وتوجيه أبحاثهم صوب البحث العلمي للجانب النفسي وآثاره على توجيه السلوك البشري والاتجاه العقدي والفكري على مستوى الفرد والجماعة، من خلال توظيف نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة وثمرة النتاج العلمي لأفكار وعقول الباحثين المسلمين على طول مسيرة ديننا الحنيف[2].

إن سلامة النفس وصحتها هي غاية وهدف تعاليم الاسلام ومن أهم مقاصده، فلا يمكن للفرد أن يؤدي ما عليه من واجبات في دينه ودنياه الا في أثناء

(١) ينظر: الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان: (ص٢١٤).

(٢) ينظر: العقيدة وأثرها في بناء الجيل، للدكتور عبد الله عزام: (ص١٥).

تحلّيه بالسلامة النفسية والنقاء الروحي، والسلامة النفسية هي الضابط المهم في تحقيق التوازن العقدي والفكري للفرد مع نفسه ومجتمعه ودينه[١]، وهذا الاتزان يحقق مستوىً عالٍ من السموّ النفسي والروحي يعصم عن الانجراف في الطرق الشاذة سواء في الأفكار أو السلوك أو العقيدة، فالدين الحنيف بمصادره الثابتة من الكتاب والسنة مُنجِدٌ وظهيرٌ لا ينتهي، لما يسعف به الناس والأمم من جرعات مختلفة في العقائد والأفكار، والتوجيهات والأحكام التي تساعدهم على التوازن النفسي والسموّ الروحي والاستقرار النفسي والفكري والسلوكي[٢].

فأصول العقائد وتكوينها يعدّ من أهم وأسمى النظم الفكرية والتربوية التي تغني الأمة بكل ما يوجهها ويساعدها على التوازن النفسي والسموّ الروحي وتحقيق التكامل والتوافق للأشخاص مع أنفسهم أولاً ثم محيطهم الاجتماعي ثانياً، فالمنهج الديني في كيفية معالجة مخالج النفس البشرية سلك سبيلاً دقيقاً وفعالاً في تناوله هذا المجال، فهو يرتكز على تكوين صلة بين سلوك الفرد وغاياته الرفيعة، فوجَّه مسيرة الإنسان الحياتية بأن تكون دائماً في جوٍّ من العبادة والتوحيد لله تعالى بطريق استعماره في الكون وتوكيله مهمة الخلافة في الأرض[٣]، كما قال جلّ في علاه ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٤].

ولا شكّ أن هذا الحافز هو من الحوافز الأكثر تأثيرًا في تكوين السلامة النفسية، بخلاف مَن يحيون حياةً بعيدة عن التقوى والايمان تراهم يتجاذبهم اليأس والنكد والإرهاق؛ لجهلهم المطبق والاعمى في معرفة الغاية العظمى من خلقهم وإيجادهم، فالعقيدة الوسطية المعتدلة تعدّ

(١) ينظر: الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان: (ص٢١٠).
(٢) ينظر: الصحة في منظور علم النفس: لكامل العويضة: (ص٣٢).
(٣) ينظر: العقيدة وأثرها في بناء الجيل، للدكتور عبد الله عزام: (ص: ١٢).
(٤) (الأنعام/١٦٢).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

أول سلَم يرتقيه الانسان في توافقه النفسي، فالسلامة النفسية عامل مهم من عوامل تحقيق صحة العقائد وصحة النفس، وإذا استُمدّت السلامة النفسية من العقيدة الصحيحة فهي لا ريب تسهم في مساعدة الشخص على تحقيق مبدأ التوافق النفسي والعقدي والروحي[١]، لهذا نجد أن تزكية النفس مقصد من مقاصد الشريعة وهدف سامي لها من خلال تحليل الطيبات، وتحريم الخبائث التي لها الأثر الواضح في وقوع الكثير من الأمراض سواءٌ كانت حسيّة ومعنويّة أو نفسيّة وروحيّة، فتعاليم الدين وتوجيهاته إلى حسن الخلق ومكارمه من خلال الإلزام بمبادئ الإيثار وحبّ الخير والمساعدة والصدق والأمانة وغيرها، مما يسهم في تحقيق الاستقرار النفسي والتوافق الاجتماعي والسلم الاهلي[٢]، وبالتالي يوجِد مساحةً كافية للسلامة النفسية، وبالتالي تكوين عقيدة سامية تخلو من التطرف والتشدد مع الآخرين[٣].

إن القواعد والتعاليم الشرعية بكل ما تقدمه من أحكام تعدّ عاملاً مهماً في الوقاية من المشاكل النفسية والأمراض المعنوية، فغايتها العظمى هي الحفاظ على الدين من خلال العقيدة الصحيحة، والحفاظ على النفس من خلال تزكيتها وسلامتها وسموّها، وهكذا على باقي الجوانب الأخرى، كذلك ركزّ الاسلام على مبدأ المسؤولية للأفراد، فجعل لكل شخص مسؤولية مباشرة عن نفسه وما يصدر منه[٤]، يقول الحق عز وجلّ ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾[٥]، فثقل المسؤولية على الشخص يسهم في تحقيق درجة عالية من السلامة النفسية والروحية، بعكس مَن يتهرّب من تحمّل أعباء مسؤولياته ينتج عنه الكثير من العقد النفسية والعقدية والروحية وغيرها،

(١) ينظر: بحوث في التوجيه الإسلامي، لمحمد الشناوي: (ص١١).
(٢) ينظر: المصدر نفسه.
(٣) ينظر: غاية المرام في عقائد أهل الاسلام، لحمدي الأعظمي: (ص٥).
(٤) ينظر: شرح عقيدة أهل السنة والجماعة، لمحمد البابرتي: (ص٢٣).
(٥) (المدثر/٣٨).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

ومن باب الإسهام في مساعدة الشخص في تكوين شخصية سوية، يجب تقويم سلوكه بصورة مستمرة عن طريق متابعته وحسابه والرقابة الدائمة عليه، ومساعدته معنوياً من خلال الاستعانة واللجوء الى ذكر الله تعالى والإنابة إليه سبحانه ومراقبته على الدوام، جميع ذلك يحقق الاستقرار النفسي والتوازن الروحي مما ينعكس على عقيدته وفكره وتعامله مع الآخرين فيعيش عيشة طيبة متوازنة خالية من كل العيوب والأزمات النفسية والفكرية والعقدية[١].

فكل ما سنّه الشرع من أحكام يوجه سلوك الناس وينظم التوازن في علاقاتهم في مجتمع متكافئ ومتوازن، وبعلاقات يسودها العدل بصبغة المودّة والرحمة، وبالنتيجة تحقيق انسجام نفسي؛ لأن العقيدة الصحيحة بما تمتاز به من هدي الهي تحقق استقرار نفسي وروحي، وتدفع بالشخص الى درجات سامية في السلامة النفسية وطمأنينة القلب، قال جلّ في علاه ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً، فَادْخُلِي فِي عِبَادِي، وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[٢]، وأغلب ما يحثّ عليه ديننا هو تعزيز الجانب النفسي والروحي الذي يتأسس على إيمان المرء بخالقه تعالى، وكذلك تزكيته لنفسه من عيوبها وتحلّيها بمكارم الأخلاق التي تجعله شخصاً ربانياً يسهم في تنمية مجتمعه ويأخذ دوره الفعال في الحياة، لذلك أسهم الاسلام في تنقية الجانب النفسي والروحي من خلال دعوته الى تعزيز عرى الايمان والتوحيد لله تعالى وإخلاص العبادة له سبحانه، وهذا ما دأب عليه النبي عليه صلى الله عليه وسلم في دعوته، حيث اهتم بتدعيم أصول الايمان في أفئدة المؤمنين ليكون منهم شخصيات سوية يسودها الأمن العقدي والنفسي والفكري، قال الحق تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[٣]، ويقول عليه الصلاة والسلام «من كانت الآخرة همّه جعل الله

(١) ينظر: المصباح المنير، للفيومي: (٦١٨/٢).

(٢) (الفجر/٢٧ - ٣٠).

(٣) (الرعد/٢٨).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

غناه في قلبه، وجمع عليه شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همّه جعل الله فقره بين عينيه، وفرّق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدّر له، فلا يُمسي إلا فقيراً، ولا يصبح إلا فقيراً، وما أقبل عبد على الله إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالودّ والرحمة، وكان الله بكل خير إليه أسرع»[(١)].

المطلب السادس: أثر الإيمان والعقيدة بالجانب النفسي

يشتمل إيمان المرء على أصول عقدية مهمة، كإيمانه بالله تعالى وبالملائكة والكتب السماوية والرسل عليهم السلام وبالقدر خيره وشره من الله تعالى، هذه أصول عقائد الايمان تعدّ من أسس تهذيب النفس الانسانية وتحقيق سلامتها وطمأنينتها وتكوين شخصية سوية متزنة تسلك سبيل الاعتدال والوسطية في كل جوانبها العقدية والسلوكية وغيرها، وإنشاء أجيال تؤمن بخالقها، سوّية في شخصيتها تحرص على كل ما من شأنه محبة الناس والحرص عليهم والابتعاد عن أي شيء يسيء إليهم ويضرهم، وهكذا شخصية لا شك ستعيش بكل اطمئنان وسكينة وسلامة نفسية[(٢)].

وفي هذا السياق يذكر سيدنا أنس رضي الله عنه حديثاً عن المصطفى عليه الصلاة والسلام بقوله [ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار][(٣)]، فالمؤمن يستشعر الخشية من خالقه في نفسه، وهيهات أن تتم تلكم الخشية من دون آثار نفسية مهمة جداً، بل سيؤول حالها بلا ريب الى نتائج وعواقب من البرّ والخير والسعادة في الدنيا والآخرة[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي في السنن: برقم (٢٥٨٣)، في صفة القيامة، الباب (١٤) منه: (٤/ ٥٧).

(٢) ينظر: بحوث في التوجيه الإسلامي، لمحمد الشناوي: (ص١١).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده: (٣/ ٢٤٨).

(٤) ينظر: الإسلام في حياة المسلم، لمحمد البهي:

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

إن من أسمى تلكم المآلات والآثار للإيمان في جنبات النفس البشرية ؛ هو العقيدة الوسطية المعتدلة، والسلامة النفسية الداخلية والمحبة والطمأنينة ومراقبة الله تعالى في كل نَفَسٍ مما يؤدي الى الصدق والإخلاص والرقابة الذاتية وعدم الإحباط واليأس عند الضرّ والبأس وديمومة الرقيّ في سلوكه النفسي من غير تراجع أو توقف، وعدم الخشية من مشاكل الدنيا ومواجهتها بكل ثقة وحزم، وكذلك الشعور بدافع عظيم وقوة تدفعه الى الجدّ والهمة بلا تعب وقناعته دوماً بصواب وصحة أفعاله ولا يهتم بما ستؤول إليه الأمور بقدر ما يهتم بالصدق والاستقامة والأمانة في العمل، وهذه النتائج المترتبة على الايمان هي القاعدة المثلى للهناء بحياة ناجحة وسعيدة[١].

فالمؤمن صاحب العقيدة السليمة المتوازنة لا تهزّه الطوارئ ولا تخيفه جسامة الأحداث وصعوبات الحياة ؛ بل يمتثل الى الواجبات الشرعية من دون رقابة أو خشية أحد، وتكون خشيته ورقابته ذاتية من تلقاء نفسه ؛ لأنه يعلم بأن الله تعالى يراه، والمبدأ هذا أكّد عليه ديننا وغرسه في نفوسنا من خلال العقيدة الصافية والسلامة النفسية المتوازنة، ولا ريب أن السلامة النفسية من أهم الصفات التي تتميز بها الشخصية المتزنة ذات السلوك السوي في مختلف جوانبها[٢]، والاتزان النفسي جانب بشري يتجلى من خلال الاطمئنان والأمن والسكينة وتلك أمارات يلاحظها أغلب الناس على الشخص الذي يتّسم ويتمتع بهكذا توازن نفسي[٣]، مما يؤثر وضعه النفسي هذا على إيمانه وعقيدته داخلياً، وعلى سلوكه وممارساته خارجياً مع بيئته ومجتمعه، فطمأنينة قلبه وسكينة روحه وسلامة نفسه تؤثر في فكره وعقيدته وإدراكه وسلوكه سواء مع نفسه أو مع الآخرين ؛ لأن الانسان بمجرد أن يضع لنفسه غاية واضحة وسامية ستقفز طاقاته

(ص٢٠٤).

(١) ينظر: المصدر نفسه.

(٢) ينظر: المصدر السابق.

(٣) ينظر: المصدر السابق: (ص٢٠٥).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الى أعلى ما يمكن، ويتضاعف نشاطه ويتيقظ عقله وتتحرك دوافعه النفسية وتتولد لديه الأفكار التي تصبّ في خدمة أهدافه وغاياته، فالنفس البشرية تتنوع غاياتها وأهدافها وهذه الأهداف لا تنتهي بل تتجدد وتتبدل بحسب مستوى تفكير الانسان ومراحله العمرية[1]، فقد تتشتّت طاقة النفس وربّما تأخذها الدنيا وتجنح بها عن مراد الله تعالى، فلا بدّ لها من تدخّل ربّاني يسعفها الى جادّة الصواب، يعينها في ذلك سلامة العقيدة وقوة الارادة وسموّ الهدف، تستمدّ العون من بارئها تعالى، كي لا تتقاذفها أهواء النفس ورغباتها وشهواتها، وهذا ما أكّد عليه المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه بقوله في دعائه [اللهمَّ رحمتَك أرجو فلا تكِلْني إلى نفسي طَرْفةَ عينٍ وأصلِحْ لي شأني كلَّه][2]، لذا نرى المؤمنين دوماً يلجؤون الى بارئهم ويتضرّعون إليه بقوله جلّ في علاه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3].

فالطمأنينة والسلامة الداخلية من سمات الشخصية السوية الخالية من العقد والأمراض، وكل هذا إنما يأتي بطريق تتبع أسباب الطمأنينة وسكون الروح ألى التوجيهات الربانية وهدي النبوة حيث تأخذ ترياقها وبلسمها من نور الوحي، فهو لا شك شفاءٌ لما في الصدور، وسلامة في الدنيا والآخرة .. يقول عزّ وجلّ ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (سورة الإسراء: ٨٢)، ويقول كذلك ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ . (سورة يونس: ٥٧).

فيتوجب على كل مسلم أن يعي تماماً حاجته الملحة والأساسية الى توحيد خالقه والى التوجيهات الربانية ؛ لتوصله الى هدفه

(١) ينظر: العبادة في الإسلام، للقرضاوي: (ص٧٦-٧٧).

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب مَن يأخذ الشَّيء على المزاح، برقم (٤٤٢٦)،، والنَّسائي في «السنن الكبرى»، برقم (١٠٤٨٦).

(٣) (سورة الفاتحة: ٥).

الأكبر ومقاصده العليا المتمثلة بالصلة بينه وبين ربه، وليتمكن من تحقيق مفاهيم الصدق والاخلاص لله تعالى مما ينعكس إيجاباً على عقيدته وسلوكه مع الناس، فهو يتقوى بقوة الله تعالى وسلطانه وقدرته في الكون، إن الوحدانية لخالقة يرجع أثرها النافع والحاسم على الفرد والجماعة؛ وإن كان ظاهرها ممارسات تعبدية فقط، فهي تؤثر في الجانب النفسي والروحي للشخص، وتبعث على الطمأنينة لقلبه والسكينة لنفسه، والمحبةً والرأفةً بخلق الله تعالى[١].

إن إيمان المرء بربّه يجنّبه دواعي الخوف والاضطراب النفسي والفكري؛ لأن عقيدتنا سنّها الله تعالى لإسعاد البشرية، فهي تضبط عقله وفكره من التشدد والتطرف والانحراف، وتضبط رغباته ودوافعه من المحرّمات التي توقع صاحبها في مدارك الهلاك والفزَع وعدم الاستقرار، فمقاصد الشريعة إنما وضعت لإسعاد الناس وغمرهم بالطمأنينة والاستقرار النفسي سواء على مستوى الفرد أو كجماعة ابتداءً من بث السعادة والألفة بين أبناء الأسرة الواحدة أو على نطاق المجتمع حتى يرقى الى مستوى التعامل بين الدول والمجتمعات الإنسانية[٢]، فالصحة النفسية وطمأنينة النفس تنبني على إيمانها بخالقها ويقينها بعدالة الحقّ عزّ وجلّ الذي يوفيها بما قدمت ولا يُظلم عنده من أحدٍ مثقال ذرة، يقول تبارك وتعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلاَ يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾[٣]، فهو تعالى يوجّه هذا النداء الربّاني للناس عموماً وللمؤمنين خصوصاً؛ ليصير سلوكهم وتوجّههم نحو الخير والفضيلة، وبذلك تغمر نفوسهم الطمأنينة والسكينة، وينتابهم الشعور بالراحة والسعادة التي لا تتحقق ربما بتوفر الأموال والوجاهة في الدنيا وبكثرة الأولاد وغيرها، بل قد تصيبه هذه الأشياء بالغمّ والقلق

(١) ينظر: موسوعة العقيدة الإسلامية، لمحمد الجليند: (١٠/ ٤٧).

(٢) ينظر: الانسان وصحته النفسية، لسيد صبحي: (ص١٦).

(٣) (سورة الأنعام/ ١٦٠).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

والسوء، ويعتريه الترقّب والخوف[1]، كيف لا والله تعالى يقول ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (سورة الإسراء/ ٩) .

فإذن تتجلى العلاقة بين إيمان المرء وسلامته النفسية وبالمحصّلة سلامته العقدية والفكرية والإيمانية، إذْ أجمعت أغلب الدراسات النفسية على أن الخوف والقلق هما العامل الأساس في تكوّن الاضطرابات النفسية والفكرية والعقدية[2]، وبموازاة ذلك مّن يدقق في الكثير من البحوث والدراسات الشرعية يتبين له أن نور الإيمان اذا تمكّن من النفوس أكسبها القوة والمناعة، وحصانةً من الوقوع بالمشاكل والاضطرابات النفسية والفكرية والعقدية، قال جلّ في علاه ﴿الَّذِينَ آَمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (سورة الأنعام: ٨٢)، فاليقين الثابت يسعف مَنْ لازمه بالتفاؤل والمحبة، ويستشعر الأمن والاطمئنان في نفسه وفكره وقلبه ؛ لأن المسلم الحقيقي لا يخيفه أحد، ولا يخشى من أي شيء في حياته ؛ ليقينه الراسخ بأنّ الكون إنما يجري وفق قضاء الله تعالى وقدره، وليس لمخلوق إليه من سبيل إلاّ بمراده تعالى، فصاحب الإيمان الراسخ لا تخيفه نوائب الدهر وغوائل السنين ؛ لإيمانه الجازم بأنّ ما يقع عليه من أحكام القدر إنما هي محض اختبارٍ وفحصٍ وامتحانٍ، ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب ويعلم المصلح من المسيء[3]، يقول الباري تعالى ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[4].

لذلك لا يمكن لصاحب الإيمان الصادق أن يعتريه الهمّ ولا الغمّ ولا يقع في شَرَك الحسرة على الماضي أو يتثاقل منه، بل هو يتقلّب بين الرجاء والتطلّع للأمام، بل بالعكس يحوّل جُلّ الابتلاءات الى دافعٍ وحافزٍ صوب الترقي في مدارج الكمال برضاءٍ نفسيٍّ، وبعدم تبرمٍ وضجر لذا

(١) ينظر: قلق الموت، لأحمد عبد الخالق: (ص١٩).
(٢) ينظر: المصدر نفسه: (ص٢٥).
(٣) ينظر: الإنسان وصحته النفسية، لسيد صبحي: (ص١٨).
(٤) (سورة الأنبياء: ٣٥).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

نراه يسير بسلامة نفسية وروحية وفكرية، مغموراً بأسباب الاطمئنان وهدوء البال، وفي هذا يوجّهنا الحقّ تعالى بقوله ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ، لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[١]، فالمسلم الحقيقي لا يعتريه الخوف الذي يشتكي منه الغالبية من أصحاب الاضطرابات والمشاكل النفسية[٢]، ونرى صاحب العقيدة السليمة المعتدلة والإيمان الراسخ من أقوى الأفراد مضياً وحماسة صوب مجتمعه، يتودّد لهم ويساعدهم بكل ما أوتي من قوة، دافعه في ذلك النصوص القرآنية التي تحثّه على الطاعة والتقرّب الى الله تعالى[٣]، كما في قوله عز وجل ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[٤]، وقوله جلّ في علاه ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[٥][٦]، فعقيدة المؤمن المتوازنة المعتدلة تغمر صاحبها بحياة الجماعة وتضبط عقله بضوابط الحبّ والوحدة والتآلف والإيثار والمساعدة، والسعي دوماً الى إسعاد الناس والجدّ في راحتهم، وتتزكّى نفسه من دركات الحسد والظلم ومزالق الأذى والعداوة للآخرين ؛ لأن هذا الشعور بروح الجماعة ومحبتهم يعدّ من الأمور المهمة التي تسهم في بناءٍ نفسيٍّ سليمٍ، وشخصٍ سويٍّ يسعى في النهاية إلى تعزيز انتمائه للجماعة فيحبهم ويحبونه، ويكون ارتباطهم وفق علاقات إنسانية جيدة تتسمّ بالألفة، فالإيمان المعتدل والعقيدة السليمة الوسطية هي من العوامل الهامة التي تساعده على تكوين شخصية سوّية تهدف الى نيل الطمأنينة وإنجاز السلامة النفسية[٧].

(١) (سورة الحديد: ٢٢ – ٢٣)
(٢) ينظر: الإيمان والحياة، ليوسف القرضاوي: (ص٣٤٢).
(٣) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب: (٣٤٩٣).
(٤) (سورة الحجرات/ ١٠).
(٥) (سورة المائدة/ ٢).
(٦) ينظر: الاسلام يتحدى، لوحيد الدين خان: (ص٢٨١).
(٧) ينظر: الدين في عصر العلم، ليوسف

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

من الضروري هنا أن نعرّج على العلاقة بين حفظ القرآن الكريم وتحقق الصحة النفسية، فلا ريب أن له الأثر البالغ في سموّ وسطوع درجة الإيمان، والذي من أسسه الثابتة كلام الله تعالى وبالنتيجة بروز وعلوّ درجة السلامة النفسية للأشخاص الحافظين، ومناعتهم من مختلف الأمراض النفسية، وآثاره في الصحة النفسية للأفراد وعلى شخصياتهم، وتمتُّعهم بمستوىً عالٍ من السلامة الداخلية، بعكس الأشخاص غير الملتزمين لحدود الله تعالى ولم يسعوا الى حفظ أي شيءٍ من كتاب الله، فلابد من إيلاء حفظ شيءٍ من كلامه تعالى الأهمية القصوى لما له من آثار مهمة على جوانب سلوكهم ووضعهم النفسي ومن العوامل الأساسية في بلوغ أعلى درجات الصحّة النفسية[1].

الخاتمة وأهم النتائج

بعد الانتهاء من كتابة هذه الورقات العلمية والتي تناولت مدى الترابط والعلاقة الوثيقة بين الميول والاستعداد النفسي وبين قضية التديّن ككل ونشوء العقيدة على وجه الخصوص، يمكن إجمال ما توصل إليه البحث بما يأتي:

١- الجانب العقدي والروحي والإيماني لأي فرد لا يقل أهمية عن الجانب النفسي، فكلّ منهما يؤثّر في الآخر إيجابًا أو سلبًا.

٢- لا شك أن الاعتقاد لأي شخصية لها الأثر الحاسم في إرشاد وتوجيه الكثير من نشاطات الأشخاص وممارساتهم وتحديد سلوكهم داخلياً وخارجياً، وتوجيههم إما نحو الوسطية أو الانحراف.

٣- للاعتقاد الأثر الحاسم في الصحة النفسية للشخص من عدمها، فالعقيدة الوسطية المعتدلة تسهم في الصحة والسماحة النفسية للشخص، على العكس من العقائد المتطرّفة فهي تورث صاحبها القلق والاضطراب والتشنّج، مما يضطره إلى إقصاء الآخرين والتنكيل بهم.

القرضاوي: (ص٧٧-٨٠).

(١) ينظر: الإيمان والحياة، ليوسف القرضاوي: (ص٦٥ وما بعدها).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

٤- الصلة الوثيقة بين العقائد المتطرفة عقدياً وفكرياً وبين الاستعدادات والميول النفسية وتعرض الشخص المتطرف لوضع حياتي واجتماعي صعب مما ترك أثراً في نفسه وتولدت لديه مشاكل واضطرابات نفسية أسهمت في نشوء تلك العقائد المتشددة.

٥- إن تنوع العقائد بين التشدد والاعتدال إنما يتأتى من أشخاص بمواصفات معينة وأرضية خصبة تتقبل نفسياً نوع العقيدة التي تؤمن بها، فمنهم من سلك سبيل المحبة والإيثار والرحمة والعطف للناس وبالنتيجة يطمئن ويسكن الى العقيدة الوسطية المعتدلة، ومنهم من انزلق في مدارك التشدد والعنف والبطش بمن يخالفه فنراه يركن ويجنح صوب العقائد المتطرفة والمتشددة، فكلٌ حسب دوافعه ورغباته وميوله النفسية.

٦- أغلب مَنْ انتهجوا سبيل التشدد والتطرف والعقائد التكفيرية كان للعوامل النفسية والميول الداخلية العوامل الحاسمة في تحديد سلوكهم وتوجهاتهم في تعاملهم مع المجتمع.

٧- إن العوامل الاجتماعية والمعيشية والمادية لكل فرد تلعب دوراً مهماً في تكوين شخصيته وتحديد سلوكه واهتماماته ورغباته، وتسهم في التأثير المباشر على وضعه النفسي وتكوين ذاته، وبالتالي تكوين اتجاهاته الفكرية والدينية ونظرته الى الحياة والمجتمع ككل إيجاباً أو سلباً.

٨- الرابطة المهمة بين العقيدة السليمة والصحة النفسية وسلامة الشخص داخلياً، من خلال الموازنة بين حاجاته الدنيوية وعاقبته الأخروية.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

التوصيات

لا بدّ في نهاية البحث من توصيات مهمة تجب مراعاتها على الصعيد الشخصي أو على صعيد المؤسسات الدينية والتربوية في المجتمع والدولة عموماً:

١- الاهتمام بالجوانب النفسية للأشخاص ومراعاتها بموازاة العقيدة والفكر والسلوك للترابط الوثيق بين تلك الجوانب وتأثير كل منها بالآخر تأثير متبادل وحاسم في تحديد التوجهات العقدية والفكرية والسلوكية للأشخاص ومن ثم المجتمعات والدول؛ فليس في الإمكان الفصل بينهما، أو مراعاتهم بصورة منفصلة عن بعضهم.

٢- على المؤسسات العلمية في الجامعات والمساجد ومراكز البحوث أن تولي العلاقة بين العقيدة والفكر وبين الجانب النفسي والميول والرغبات أهمية بالغة وتعطي مساحة أكبر لمثل هذه الدراسات المهمة، لمعالجة المشاكل النفسية والعقدية، وتلافي الوقوع في فخ التشدّد والارهاب.

٣- على الدول كافة أن تضع استراتيجيات طويلة الأمد بخطط واعية ودقيقة تبحث في الدوافع النفسية والاتجاهات التي تؤدّي إلى نشوء الجماعات المتطرفة، وطرق معالجتها على المدى الطويل.

٤- على المؤسسات الدينية أن تنتهج المنهج الوسطي في أسلوب الدعوة إلى الله تعالى، والتركيز على سماحة الإسلام ومراعاته لمصالح الناس، والحفاظ على النفس والمال والعرض والدين باعتبارها من الضرورات التي تعهّد الاسلام بحفظها.

٥- على المؤسسات التربوية والتعليمية الرسمية وغير الرسمية الاهتمام بالجانب النفسي والعقدي والفكري في مناهجها الدراسية، ومراعاة هذه الجوانب لدى الطلبة والمتعلمين، للوقاية من سقوطهم في شَرَك الإرهاب والتكفير.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .. وصلّى الله على سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه أجمعين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

١- الإبانة عن أصول الديانة، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت ٣٢٤هـ) المحقق: د. فوقية حسين محمود، الناشر: دار الأنصار - القاهرة، الطبعة: الأولى ١٣٩٧هـ.

٢- احصاء العلوم، المؤلف: أبو نصر الفارابي، الناشر: مكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى/ ١٩٩٦ م.

٣- إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت. بدون سنة.

٤- الإرشاد الى قواطع الادلة في أصول الاعتقاد، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨ هـ)

٥- الأسس النفسية للاتجاه الديني، سمية أحمد فهمي، (١٩٧٥م)، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط١.

٦- الإسلام في حياة المسلم- البهي: محمد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٩٧٣م.

٧- الإسلام و قضايا علم النفس الحديث، لنبيل السمالوطي، دار الشروق، جدة، ط٣، ١٩٨٤م.

٨- الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان، تحقيق د.عبد الصبور شاهين، ط١، بدون سنة.

٩- الأشباه والنظائر في القرآن الكريم، لمقاتل البلخي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون معلومات.

١٠- الأشباه والنظائر في قواعد وفروع فقه الشافعية، المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

١١- أصول الدين، لمحمد البزدوي، تحقيق هانز بيتر لنس، ضبطه احمد حجازي السقا، المكتبة الأزهرية للتراث، ٢٠٠٣م.

١٢- أصول الصحة النفسية، لأحمد عبد

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الخالق، دار المعرفة الجامعية، ط٢، ١٩٩٣م.
١٣- إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)، المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) عثمان بن محمد شطا الدمياطي الشافعي (ت ١٣١٠هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
١٤- الاعتصام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت ٧٩٠هـ)، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
١٥- الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
١٦- الاقتصاد في الاعتقاد، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
١٧- الانسان وصحته النفسية، لسيد صبحي، ٢٠٠٣م. بدون معلومات.
١٨- أهمية الإرشاد النفسي الديني والحاجة إليه وتطبيقاته لأحد الاضطرابات النفسية، مصطفى عبدالمحسن الحديبي، وحدة الأبحاث النفسية والاجتماعية، كلية التربية - جامعة أسيوط، ط١، ٢٠١٠م.
١٩- الإيمان و الحياة - القرضاوي: يوسف - مكتبة وهبة - القاهرة - السادسة - ١٩٧٨.
٢٠- بحوث في التوجيه الإسلامي - الشناوي: محمد - دار غريب - القاهرة - الأولى - ٢٠٠١م.
٢١- البداية و النهاية - ابن كثير: إسماعيل- دار الفجر للتراث - القاهرة - الأولى - ٢٠٠٣م.
٢٢- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، المؤلف: طاهر بن محمد الاسفراييني، أبو المظفر (ت ٤٧١هـ)،

المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: عالم الكتب – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢٣– تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، المؤلف: ثقة الدين، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٤هـ .

٢٤– تحفة المريد على جوهرة التوحيد، المؤلف: إبراهيم بن محمد بن أحمد الشافعي البيجوري (المتوفى: ١٢٧٦ هـ)، حققه وشرح غريب ألفاظه د. علي جمعة محمد الشافعي، مطبعة دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢ م.

٢٥– الترغيب و الترهيب – المنذري: عبد العظيم – دار الحديث – القاهرة – الأولى – ١٩٩٤م.

٢٦– التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٧– تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، المؤلف: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكي (ت ٤٠٣هـ)، المحقق: عماد الدين أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م.

٢٨– الجامع الكبير (سنن الترمذي)، المؤلف: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٦ م: أبو عيسى بن سورة – المكتبة السلفية – المدينة المنورة – الأولى ١٩٦٦م.

٢٩– الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة،

الطبعة: الثانية، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.
٣٠- الحديث النبوي و علم النفس - نجاتي: محمد - دار الشروق - القاهرة - الخامسة - ٢٠٠٥م.
٣١- الدراسات النفسية عند المسلمين والغزالي بوجه خاص، لـ عبد الكريم العثمان، الناشر: مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ط١، ١٩٨١م.
٣٢- الدين في عصر العلم، للقرضاوي، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، ٢٠١٢م.
٣٣- الرازي وآراؤه الكلامية، لمحمد صالح الزركان، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٦٣م.
٣٤- الرَّدُّ عَلى الجَهَمِّيَة، المؤلف: أبو سَعِيدٍ عُثْمَانَ بن سعِيدٍ الدَّارِمِيِّ، المحقق: أَبُوُ عَاصِم الشَّوَامِيّ الأَثَرِي، الناشر: المكتبة الإسلامية، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.
٣٥- رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب، المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، المحقق: عبد الله شاكر محمد الجنيدي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤١٣هـ .
٣٦- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) تحقيق ابو عاصم الأثري، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ٢٠١٠م.
٣٧- رؤية للأمن الفكري وسبل مواجهة الفكر المنحرف، علي بن فايز الجنحي، المجلة العربية، مجلد (١٤)، عدد (٢٧)، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، الناشر: جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٩٩٩م.
٣٨- السعادة وتنمية الصحة النفسية، مسئولية الفرد فى الإسلام وعلم النفس، كمال إبراهيم مرسي، دار النشر للجامعات: الكويت، ط١، ٢٠٠١م.
٣٩- السلوك الإنساني - عويضة: كامل - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى -

١٩٩٦م.

٤٠- السنة النبوية وتوجيه المسلم إلى الصحة النفسية، أبو شهبة، هناء يحيى، جامعة اليرموك، مؤتمر السنة النبوية والدراسات المعاصرة، الأردن، ٢٠٠٧م.

٤١- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي. بدون سنة.

٤٢- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بدون سنة.

٤٣- السنن الكبرى، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

٤٤- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، تقديم: بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

٤٥- الشامل في أصول الدين، المؤلف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (المتوفى: ٤٧٨ هـ)،حققه وقدم له: علي سامي النشار، فيصل بدير عون، سهير محمد مختار، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، طبع في سنة: ١٣٨٩ - ١٩٦٩م.

٤٦- شرح المقاصد في علم الكلام، المؤلف: سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني الشافعي (المتوفى: ٧٩٣ هـ)، المحقق: الناشر دار المعارف النعمانية، سنة النشر: ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

٤٧- شرح المواقف للجرجاني، المؤلف: علي بن محمد بن علي الشريف الحسيني الجرجاني المعروف بسيد مير شريف (المتوفى: ٨١٦ هـ)، الطبعة: الأولى، الناشر:

مطبعة السعادة، مصر – القاهرة. بدون سنة.
٤٨– شرح عقيدة أهل السنة والجماعة العقيدة الطحاوية، المؤلف أكمل الدين محمد بن محمد البابرتي، الطبعة الأولى، الكويت، المحقق عارف آيتكن, عبد الستار أبو غدة، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، **١٩٨٩**م **١٤٠٩**هـ.
٤٩– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت **٣٩٣**هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة **١٤٠٧** هـ – **١٩٨٧** م.
٥٠– الصحة النفسية في المفهوم الاسلامي، حامد هانم، السعودية، دار عالم الكتب، ط١، **٢٠٠٣**م.
٥١– الصحة في منظور علم النفس – عويضة: كامل – دار الكتب العلمية – بيروت – الأولى – **١٩٩٦**م.
٥٢– الصحيح – البخاري: محمد بن إسماعيل – المكتبة العصرية – بيروت – الأولى – **١٩٩٧**م.
٥٣– الصحيح – مسلم: ابن الحجاج – دار السلام – القاهرة – الثالثة – **١٩٩٦**م، الطبعة: الأولى، **١٤١٩** هـ – **١٩٩٩** م.
٥٤– صيقل الإسلام، لبديع الزمان النورسي، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، دار النيل للنشر، **٢٠١١**م.
٥٥– العبادة في الإسلام، للدكتور يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، شارع الجمهورية، القاهرة، بدون سنة.
٥٦– العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، المؤلف: عبد الرحمن بن بن خلدون (**٧٣٢** – **٨٠٨** هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، الناشر: دار الفكر، بيروت، الطبعة: الأولى، **١٤٠١** هـ – **١٩٨١**م.
٥٧– العقيدة وأثرها في بناء الجيل، للدكتور عبد الله عزام، نشر وتوزيع مركز الشهيد عزام الإعلامي، بيشاور– باكستان، ط١. بدون سنة.
٥٨– العلاج النفسي الحديث قوة للإنسان، براهيم، عبد الستار، عالم المعرفة، المجلس

الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط٢، ١٩٨٠م.

٥٩- علم النفس الشخصية - عويضة: كامل - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى - ١٩٩٦م.

٦٠- علم النفس القرآني والتهذيب الوجداني، عبد العلي الجسماني، دار الأندلس الإسكندرية، ط١، ١٩٩٦م.

٦١- علم النفس و الحياة - نجاتي: محمد - دار القلم - الكويت - الثالثة عشرة - ١٩٩٢م.

٦٢- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العينى (ت ٨٥٥ هـ)، دار إحياء التراث العربي، ودار الفكر - بيروت. بدون سنة.

٦٣- غاية المرام في عقائد أهل الاسلام، للحاج حمدي الأعظمي، مطبعة المعارف، بغداد، ط٢، ١٩٤٨م.

٦٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ .

٦٥- فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين، المؤلف: زين الدين أحمد بن عبد العزيز بن زين الدين بن علي بن أحمد المعبري المليباري الهندي (ت ٩٨٧هـ)، الناشر: دار بن حزم الطبعة: الأولى. بدون سنة.

٦٦- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٧م.

٦٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (ت ٤٥٦هـ)، الناشر: مكتبة الخانجي - القاهرة. بدون سنة.

٦٨- في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥هـ)، الناشر: دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر، ١٤١٢ هـ .

٦٩- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٧٠- القرآن و علم النفس - نجاتي: محمد - دار الشروق - القاهرة - الثامنة - ٢٠٠٥م.
٧١- قلق الموت، لأحمد عبد الخالق، الناشر عالم المعرفة، ١٩٨٧م.
٧٢- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.
٧٣- الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة، لـ ابن رشد، الناشر: مركز دراسات الوحدة العربية، تاريخ النشر: ٢٠١٩م،
٧٤- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة ،١٤١٤ هـ.
٧٥- اللّمع في الردّ على أهل الزيغ والبدع، لأبي الحسن الأشعري، صححه وعلق عليه حمودة غرابة، مطبعة مصر، ١٩٥٥م.
٧٦- مجموعة المكتوبات من كليات رسائل النور، لبديع الزمان سعيد النورسي، ترجمة محمد زاهد الملا زكردي، دار الآفاق - بيروت. بدون سنة.
٧٧- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، مؤلف الأصل: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ)، اختصره: محمد بن محمد بن عبد الكريم بن رضوان البعلي شمس الدين، ابن الموصلي (ت ٧٧٤ هـ) المحقق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
٧٨- مدخل إلى علم النفس - عويضة: كامل - دار الكتب العلمية - بيروت - الأولى، ١٩٩٦م.
٧٩- المسامرة شرح المسايرة في العقائد

المنجية في الآخرة، المؤلف: محمد بن عبد الواحد، المعروف بابن الهمام (المتوفى: ٨٦١ هـ)، الشارح: محمد المقدسي، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣١٧ هـ - ١٨٣٦م.

٨٠- المسند - الإمام احمد ابن حنبل: أحمد - تحقيق أحمد شاكر - دار الحديث - الأولى -١٩٩٥م.

٨١- مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود الطيالسي سليمان بن داود بن الجارود (ت ٢٠٤ هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر - مصر. بدون سنة.

٨٢- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت. بدون سنة.

٨٣- معارج القدس في مدراج معرفة النفس، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٧٥م.

٨٤- المعجزة الخالدة ؛ معجزة القرآن الكريم، لـ محمد متولي الشعراوي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م.

٨٥- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: أبو الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، الناشر: دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

٨٦- المقالات والفرق، لسعد بن عبد الله الأشعري، الناشر، مركز انتشارات علمي، مطبعة كاويان. بدون سنة.

٨٧- الملل والنحل، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨ هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت، تحقيق: محمد سيد كيلاني، ١٤٠٤هـ.

٨٨- المنقذ من الضلال، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، بقلم: الدكتور عبد الحليم محمود، الناشر: دار الكتب الحديثة، مصر. بدون سنة.

٨٩- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط

والآثار، المؤلف: أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

٩٠- الموسوعة الإسلامية العامة، المؤلف: مجموعة من المصنفين، المحقق: محمود حمدي زقزوق، الناشر: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - مصر، سنة النشر: ١٤٢٤ - ٢٠٠٣م.

٩١- موسوعة العقيدة الإسلامية، تأليف: مجموعة من المؤلفين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ٢٠١٠م.

٩٢- نجم المهتدي ورجم المعتدي، لإمام فخر الدين ابن معلم، حققه بلال محمد حاتم السقا، دار التقوى - الشام، ط١، ٢٠١٩م.

٩٣- نحو علم نفس اسلامي، لـ د. حسن الشرقاوي، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة، تاريخ النشر: ١٩٩٨م

٩٤- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

٩٥- النفس الانسانية في القرآن، لابراهيم سرسيق، تهامة - جدة / السعودية، ط١، ١٩٨١م.

٩٦- نهاية الإقدام في علم الكلام، المؤلف: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ.

٩٧- الوسطية في الإسلام و أثرها في تحقيق الأمن، لسعيد بن فالح المغامسي، الناشر جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٤م.

٩٨- الوسواس القهري مرض نفسي أم أحاديث شيطانية، طارق بن على الحبيب، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٥م.